سلسلة نور المحبين(21)

نور المحبين

دليل الخيرات صلى الله عليه وآله وسلم

التعرف على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدليل من الكتاب والسنة

جمع وترتيب

شيماء العطار

سلسلة نور المحبين

دليل الخيرات صلى الله عليه وآله وسلم

التعرف على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
بالدليل من الكتاب والسنة

جمع وترتيب

شيماء العطار

سلسلة نور المحبين

دَلِيلُ الخَيْرَاتِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

شيماء العطار/

دَلِيل الخَيْرَاتِ صلى الله عليه وآله وسلم

www.nooralmohebin.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تحكي المصادر التاريخية قصة ذلك الشيخ الذي كان مُسافرًا في الصحراء، وجاء وقت الصلاة، وأخذ يبحث عن ماءٍ كي يُتِمَّ وضوءه، وبالفعل وجد بئرًا فاستبشر، ولكن مع الأسف لم يجدْ دلوًا يرفع به الماء كي يستطيع الوضوء. وتحكي القصة أنه في تلك اللحظة التي شعر فيها باليأس الذي مَهَد له الأمل ظهرت فتاة دون مُقَدِّمات، وتوجهت إلى البئر وقرأت شيئًا لم يسمعه الشيخ، ولكن أمام عينيه بدأ الماء يرتفع داخل البئر واستطاعت الفتاة أن تستخدمه (لم يكن واضحًا في الروايات المختلفة هل كانت تريد أن تتوضأ أم تشرب، أم ربما فقط أن تُعَلِّم الشيخ؟).

ولأن الشيخ في الأصل طالب علم، تربى على البحث عن الإجابات، فكان من الطبيعي أن يتجه -بعد أن يفرغ من الوضوء- بسؤالٍ إلى الفتاة: كيف استطاعت أن تقوم بما قامت به؟ لم يكن سؤاله استنكاريًّا، فهو بالتأكيد يؤمن بالغيب وأن قدرة الله سبحانه ليس لها حدود، لهذا كان سؤاله استفهاميًّا، سؤالَ طالب علم يسعى كي يعرفَ ما يساعده في مواجهة ما قد يطرأ في حياته المستقبلية من مشكلات مشابهة.

المثير في بقية القصة، كما هو مذكور في أغلب الروايات، هو أن الفتاة لم تخبرِ الشيخ عن الذي قالته بالتحديد، ولكنها أرشدته إلى الإطار العام لما قالته،

كما لو كانت تُخبرُه وتُعَلِّمه أنه لا يُهِمُّ اللفظ، ولكن المهم هو الفكرة، المهمّ التَوَّجُه وليس الوسيلة التي تقود للوصول إلى وِجهَتِك...

سألته مُتَعَجِّبة: كيف لا يعرف شيخ مثلك دَرَسَ في جامعة من أعرق الجامعات الإسلامية؟

كيف لا يعرف الوسيلة المضمونة لحل مثل هذه المُعضِلات ومواجهة مثل هذه المشكلات وتجاوز العقبات، وتيسير الصعوبات، وتقصير المسافات، وجلب المسرات، وستر العورات، ومحو الزَّلَّات، والحفظ من الشبهات، ورفع الدرجات، ورضا رب الأرض والسماوات، والثبات عند الممات، وفتح أبواب الجنات؟!

أجابته بيقين: «بالصلاةِ على من إذا مشى في البر الأقفر تَعَلَّقت الوحوش بأذياله صلى الله عليه وآله وسَلَّم».

هنا تنتهي الرواية ولا نعرف شيئًا عن تلك الفتاة بعد ما قالته، ربما لأن وجودَها ليس هو المهم، كما أن كلماتها التي همست بها للماء فارتفع لم تكن هي الهدفَ من القصة، كان المهمُّ هو أن يكشف الله سبحانه بصيرة الشيخ لكي يُدركَ أصل كلِّ نعمة ومصدر كل خير.

انتهت قصة الفتاة، لكي يبدأ سيدي محمد بن سليمان الجزولي قصته مع الصلاة على سيدنا دليل الخيرات عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَاَلسَّلَامُ، التي أثمرت كتاب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار...

لا يهم أن تكون هذه القصة صحيحة تاريخيًّا أو لمْ تحدثْ بهذه الصورة، أو وقعت بشكلٍ مختلف، أو كانت رؤيا للشيخ دفعته للبدء في جمع ما كُتِبَ من صلواتٍ على سيدنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في نسقٍ لم يسبقه له أحدٌ من قبل، دون أسانيد أو تعليقات أو شروح ولكن صلوات مُتَّصِلة، لا يُدرك من يقرؤها ما الصلوات التي من إنشاء الشيخ والصلوات التي من السادة والشيوخ الآخرين، بحيث لا يستطيع إلا العالم أن يُحدّد أين تبدأ صلاة وأين تنتهي، كما لو كان يريد أن تكون الصلاة مستمرةً لا يوقفها ما يشغل العلماء والدارسين حين يقرؤون مثل هذه النصوص، فهو لم يجمعه للخاصّة ولكن للجميع، لهذا فهو خالٍ من الألفاظ الغريبة أو التراكيب المعقَّدة، التي قد يلجأ إليها المحبون حين تُعجزهم الألفاظ عن التعبير عن سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وبارك.

ولأن صاحب دلائل الخيرات كان مُحبًّا لسيدنا الحبيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلم يحاول أن يُقَدِّم كتاب تَعَبُّدٍ أو أوراد، وإن كان هو كذلك، وإنما حاول أن يرسمَ صورةً شاملة جامعة لما يعرفه عن حبيب رب العالمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. واستعان في ذلك بالصلاة عليه، تنفيذًا لأمر الله سبحانه لنا بالصلاة عليه، فتشعر وأنت تقرأ أنه كلما انخفض ماء بئر الصلوات عنده يستعين ببركة الصلوات في الدعاء لكي يمدَّه الله سبحانه بما يرفع الماء؛ لكي يستمر في الصلاة دون توقف.

والحقيقة أنه رحمة الله عليه لو أراد ألا يختم الكتاب مستعينًا ببركة الصلاة على سيدنا الحبيب لما انتهى من كتابته إلى يومنا هذا، بل قُل إن شئت إلى يوم

القيامة. وهذا تأكيدًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ مُستخدمًا الفعل المُضارع الذي يفيد الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، فطالما أنه سبحانه دائمًا في صلاةٍ على حبيبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه دائمًا ما سيكون هناك مددٌ لا ينتهي لمن يمتثل أمرَه سبحانه، ويواظب على الصلاة على سيدنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بلا توقف.

حين بدأنا هذه الرحلة في عام ٢٠٢٢م كانت الفكرة الأساسية هي محاولة تقديم عمل يُعَرِّف الجيل الحالي على سيدنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكّرنا في تقديم هذه المعرفة من خلال مفهوم الصلاة عليه، حيث إنها من الأشياء التي تُجمِع الأمة على فضلِها.

ولكن حين بدأنا البحث وجدنا أنه لكي نُدرك قيمة الصلاةِ عليه صلى الله عليه وعلى آله، لا بدَّ لنا من أن نتَعَرَّف عليه أكثر، فتوسعنا بعض الشيء في الإطار الذي نُقَدِّمه، واستخدمنا كتاب دلائل الخيرات كمدخلٍ لمفهوم الصلاة عليه والتعريف بها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعدة أسباب، منها أنه كتاب سهل، أوسع الكتب انتشارًا في الصلاة عليه، كما أنه يحتوي على صيغ صلوات تُعَرِّف بخصائص وشمائل وصفات وأخلاق سيدنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ...

ظننا أن المشروع سيكون بسيطًا ولكن كلَّما استضفنا أحد الضيوف، فتح الله لنا أبوابًا جديدة من معاني معرفته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي تتطلب إلقاء الضوء عليها، وهكذا وجدنا أنفسنا قد سجَّلنا مع ما يقارب ثمانين شخصية من مختلف

بقاع الأرض، من الصين إلى أمريكا، من مختلف دول العالم العربي، مع مسلمين من إفريقيا وأوروبا، تجاوز التسجيل مائة وخمسين ساعة، وامتد العمل لأكثر من سنتين ونصف.

كان من الممكن أن نستمرَّ بلا توقف؛ لأنه من المستحيل أن ينتهي الحديث عن فضائل سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن كان من اللازم علينا أن ينتهي العمل، فكما قرر سيدي الجزولي ختم كتاب الدلائل، قرّرنا أن نختم المشروع ليكون جاهزًا للعرض.

وحين انتهينا من العمل وجدنا أنه من الواجب أن يُصاحبه كتاب يعرض الجوانبَ الشرعية لكل ما قدمناه من أفكار، حتى يستطيع المسلم المحبُّ لسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يطمئن قلبه وهو يتلقى هذه الأفكار، ويكون لديه مرجعية يُجيب بها على أي شكوك أو مُغالطات يجدها مُنتشرةً مع الأسف لدى البعض.

فنحن اليوم نعيش في زمن الفتن التي تريد أن تهدم الإسلام، تفعل ذلك من خلال تحديد دور سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتقليل مكانته في حياتنا اليومية، حتى لا يُدرك الإنسان المسلم اليوم أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رسولنا الحاضر بيننا والذي يجب أن نرتبط به ارتباطَ المسلم الحي برسوله الحي الحاضر، وليس ارتباط المسلم الحي برسوله الذي بَلَّغ الرسالة واختفى عن الوجود ولن يعود إليه إلا يوم القيامة.

في الصفحات التالية نُقدِّم لكم الفكرة العامة للمشروع والمحاور الأساسية لـه، وكيف تمَّ تقسيمها إلى حلقات؛ حتى يَسهُل عليكم استخدام هذا الكتاب في تأصيل وتأكيد مشروعية هذه المعاني التي قدمناها عن حقيقة سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الفكرة العامة

يسعى العمل إلى تقديم سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المسلمين من خلال مفهوم الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف أن الصلاة عليه تفتح أبواب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فهي من العبادات التي قلَّ شأنها في الأمة، وتحتاج إلى إحيائها؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دليل كل الخيرات... ولكي نفهم أهمية الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نحتاج إلى أن نعرف عنه أكثر، ونفهم كيف يمكن أن يكون وجودُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بيننا اليوم هو طوقَ النجاة من العديد من المشاكل التي يواجهها الفرد أو المجتمع.

من خلال الحلقات نستخدم كتاب دلائل الخيرات كمدخلٍ إلى رحلة التعرف على بعض خصائصه وشمائله وحقوقه وحقائق حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. وتم الاعتماد على كتاب دلائل الخيرات؛ لأنه من أشهر الكتب في الصلاة على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كذلك لأنه يحتوي على الكثير من المعاني التي تعكس كمالات وصفات سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

الهدف الأساسي من هذه الحلقات هو أن تدلَّ المشاهد على الخير كله: سيدِنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بتقديم مفهوم التعَرُّف والمحبة والاتباع تحت مظلة الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

لا يوجد مسلم موحدٌّ يصلي للقبلة مخطئ في تعامله مع سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الجميع مقبولون بإذن الله. ولكن هناك درجات في اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هناك من لا يعرف معنى الاتباع، فلا يتبعه أساسًا، ويكتفي بفرائض الدين، وهناك من يتبعه بالتزامٍ عقلي، ومن يحبه بمحبةٍ عقلية تجعله يرى أن صدق المحبة والاتباع هي في الالتزام الحرفي بالنص بما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمر به وما نهى عنه. وهناك من يحبه محبةً عقلية تجعله يبحث عن كلِّ طريقة ليعظّمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

وكلها درجات ومراتب، والذي نسعى إليه هو توضيحها وليس التقليل من شأن أحد أو مهاجمة أحد... فالهدف هو توضيح أهمية الأدب مع سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكيف أنه يجب أن يسبق التعرُّفُ المحبةَ والاتباعَ، فالاتباع يحتاج إلى محبة، والمحبة تحتاج إلى تَعَرُّفٍ، ولكي يوفق الله هذه المعادلة، يحتاج الإنسان إلى الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لكي يوزن ويخضع له المعرفة والشعور والسلوك، فلا شطط ولا تفريط...

ونلتزم في تقديم المادة بما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وتوضيح أن هذه المفاهيم عليها إجماعٌ من الأمة من وقت السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم من السادة الأولياء والعارفين والعلماء، بل وفي حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

خريطة الحلقات (المحاور والأسئلة)

المحور الأول: التمهيد لموضوع حلقات (كتاب دلائل الخيرات).

هناك كتابٌ معروف لكل المسلمين، عظم شأنه واهتم به المسلمون عبر العصور، فهم يتلونه ليلًا ونهارًا، يتوارث نسخَه الأجيال...

هذا الكتاب اسمه دلائل الخيرات...

لماذا انتشر هذا الكتاب؟!

لأن موضوعه هو خير موضوع، هو الصلاة على سيدنا الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قمنا برحلة حول العالم مع هذا الكتاب، لنتعرف على محبين له، ودارسين له، وملتزمين به؛ لا لشيء إلا لأنه بابٌ كبير لمعرفة ومحبة سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فدعنا نرسم خريطة لرحلتنا لتسير معنا على وضوح...

لكي نفهم أكثر لماذا انتشر كتاب الدلائل هذا الانتشار، لا بد أن نعرف أولًا: **ما الصلاة على الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

فمعرفة معنى الصلاة تتبعه معرفة فضل الصلاة على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ما الذي نستفيده منها؟

لكي تتحقق الفائدة لا بد من الالتزام بآداب الصلاة... فـ(**ما آدابها؟**).

ومنها نتعرف على معاني الإكثار والتكرار والاستحضار.

المحور الثاني: الرد على شبهات الصلوات على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

بعد كل هذا من الممكن أن تجد أشخاصًا يشككون في مثل هذا النوع من الكتب التي تجمع صلواتٍ مختلفة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لذا وجب الرَّد على بعض الشبهات مثال:

- استخدام صيغ صلوات غير الصلاة الإبراهيمية التي وردت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

- من له حق استحداث تلك الصيغ؟

- مشروعية استخدام لفظ السيادة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف أنها ليست بدعة، ومعنى مفهوم البدعة.

إذا كان هو (سيدنا) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أليس معنى السيادة أن نلجأ إليه عند الشدائد؟!

إذًا سنحتاج إلى الحديث عن مفهوم الوسيلة والواسطة والشفاعة بالنسبة إلى سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المحور الثالث: عظمة الرسول وارتفاع قدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الأمر مع الصلاة على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أكبر من مجرد صيغة تُقال؛ لأنها مرتبطة (به) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

وبالتالي نحتاج إلى أن نعرف بعضًا من قدره وصفاته ومعجزاته؛ لنفهم ولو قليلًا: لماذا أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ ولماذا يستحق أن يكون هو سيد ولد آدم، وأن يكون وسيلتنا وواسطتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

- سنتعرف على عظمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

- سنتعرف على أسمائه كمدخل لمعرفة صفاته.

- سنتعرف على صفاته التي حباه الله بها، مثل الرحمة والشفقة والتواضع... إلخ.

- سنتعرف على معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ التي تزيد من محبة المُحِبِّ، وتُعرِّفه حقيقة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بشرٌ غير كل البشر، وكيف أن أخلاقه كانت أكبرَ معجزة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

- سنرى كيف أننا مهما عظمناه لن نصل إلى ما يستحقه وإلى تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له في القرآن.

المحور الرابع: المعرفة والمحبة.

حين نتعرَّف على مقداره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يمكننا التحدث عن محبته، ولكن قبل الحديث عن المحبة يجب أن نتحدث عن المعرفة...

لأن هناك محبة عقلية ومحبة قلبية، والفرق بينهما هو المعرفة، فحين تعرفه حقَّ المعرفة ستحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بقلبك وليس بمجرد عقلك...

التعـرُّف على الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لمـاذا هو مهم؟ وهـل يمكن أن تكون هناك محبة دون تعرف؟

إذا عرفناه يمكننا أن نشعر بالحب الصحيح؛ لأنك تعرف إلى من توجِّه هذا الشعور...

ما مظاهر هذه المحبة؟

ما ثمرات هذه المحبة؟

كيف نرتقي بهذه المحبة؟

ونتعرف على محبة الله سبحانه لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

وهـل هناك حدود لهـذه المحبة؟ أو بعبـارة أخرى: هل المحبـة والتعظيم الزائد يؤديان إلى الشرك؟

بعد كل هذا يمكننا أن نُفَرِّق بين المحبة العقلية والمحبة القلبية الحقيقية.

المحور الخامس: الاتّبَاع والأدب.

أحـد ثمرات المحبة هو الاتبـاع، ولكن هناك من يقول: إنـه يمكن أن أتبع دون هـذه المحبـة؛ لذا يجـب أن نوضحَ ما الاتِّبـاع؟ وما علاقتـه بالمحبة؟ ثم ما مفهوم السُّـنة التي نتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيها؟ ثم نتعرف على نماذج من الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين كانوا أفضل من اتبع الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ... ومن هـذه النماذج نتعرف علـى مفهوم مهم جـدًّا يجب أن يكون موجـودًا مع الاتّباع والمحبة والمعرفة وهو الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

هنا نكون قد ربطنا بين المعرفة- المحبة- الاتّباع- الأدب، ولكن إذا أردنا تطبيق هذه المفاهيم في حياتنا العملية نجد أنفسنا أمام موضوعات شائكة، يجب علينا فتحها لكي يتسقَ ما عرفناه مع التعامل مع الواقع دون شعور بتوتر أو خوف من الآخرين.

من هذه الموضوعات: محبة آل البيت، الشكوك التي تطرأ في الذهن عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم حياة الرسول اليوم، وعلاقتنا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المحور السادس: محبة آل البيت.

بدايةً لا بد أن نعرف أن معنى محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا تكتمل إلا بمحبة آله، وأن لهم حقوقًا علينا، ثم يجب أن نعرف من هم الآل؟ ومن يدخل تحت هذا اللفظ؟

وهذا يدفعنا إلى الحديث عن موقف الشيعة من الآل، وكيف أن أهل السنة والجماعة هم أكثر من اهتمَّ بالآل وحقوقهم وحبهم على مدار التاريخ.

فالحديث عن الآل يجب أن يفتح النقاشَ حول إيمان والدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، للرد على من يدعي أنهما في النار (أستغفر الله).

وحين نذكر من يعادي والدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سنجد أننا يجب أن نردَّ على من يناصب الآل العداء وعقابه وخطورة موقفه.

المحور السابع: الشك والارتياب، شبهات حول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

إذا كان هناك من يعادي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته، فإن هناك كذلك من يقلِّل من قدر الرسول صلى الله عليه وآله باستخدام آيات وأحاديث تبدو في الظاهر أو للقلوب غير المحبة أنها تؤكد مقولاتٍ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بشر، لا يضر ولا ينفع.. إلخ.

لذلك يجب الرد على مثل هذه الأفكار، وإعطاء أمثلة لكيفية التعامل معها؛ لكي نخرج من دائرة الشك فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. والرد على مقولة أنه بشر مثلنا (حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ).

وتأكيد مفهوم العصمة للأنبياء، وأن عصمتهم من لحظة الولادة، وليست من لحظة تلقي الرسالة...

والرد على بعض التفاسير التي تُسيء للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لبعض آيات القرآن والأحاديث، مثل:

- حديث: أنتم أعلم بأمور دنياكم.
- الزواج من السيدة عائشة.
- ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.
- وجدك ضالًّا فهدى.

المحور الثامن: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حي في حياته البرزخية.

فإذا فهمنا المعاني السابقة وأدركنا محورية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حياتنا، يمكننا أن نفهمَ معنى أنه حي في مقامه الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ومن لم يصلْ إليه هذا المعنى يمكننا أن نناقش بعض النقاط التي تصل به إلى هذا الفهم.

- مشروعية زيارة مقامه الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

- معنى الحياة بشكلٍ عام، ومعاني حياة الذَّر والحياة الدنيا والحياة البرزخية والحياة الآخرة وموقع الموت في هذا. ومفهوم أن الأنبياء أحياء في قبورهم.

- أهمية هذا الفهم للتعامل مع فتن الحياة.

- رؤية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقظةً ومنامًا، لاطلاعه على أحوالنا.

هذا يجعلنا ندرك مفهوم البركة التي في حياتنا بسببه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ونتعرف على مفهوم التبرك بآثاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المحور التاسع: السند/ النُّصرة.

كيف يساعدنا هذا الفهم لحياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (أن وجوده مستمرٌّ ولم ينقطع بموته) أن نرى وجودَه في حياتنا اليوم؟

سنتعرف على مفهوم السند، وأنه المدد الذي يمتد من عصره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى عصرنا اليوم، وأهميته في مواجهة طوفان المعلومات والآراء والحديث في الدين دون استعداد وما ينتج عنه من فتن.

وهـذا يقودنا إلـى معرفة كيـف يمكن أن ننصرَ الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عالـم اليـوم الذي تتصاعـد فيه لهجة العـداء للإسلام بمهاجمة سـيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (النصرة والتخلق بأخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ).

المحور العاشر: دلائل الخيرات.

بعد هذه الرحلة يمكننا الآن أن ندَّعي أننا قد عرفنا بعضًا من معاني شخصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا يجعلنا قادرين على تقديم كتاب دلائل الخيرات.

- سنتعرف على قصة كتابته وقصة سيدي الجازولي.
- سنتعرف على انتشاره ونسخه المختلفة.
- سنتعرف على: كيف يمكن قراءته وما فوائده.
- سنتعرف عليه كدليل للمحبة والارتباط بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

حينهـا ربمـا يمكننا أن نفهم لماذا الصلاة على سـيدنا محمـد هي باب كلِّ خيرٍ؛ لأنها بابُنا إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو بابنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى...

دليل الخيرات (الحلقات)

المحور الأول: المدخل.

١. مدخل إلى الصلاة، ومدخل إلى الدلائل، ومفهوم الصلاة على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

٢. فضل الصلاة وفوائدها في أمور الدنيا والآخرة...

٣. آداب الصلاة: الإكثار، التكرار والاستحضار...

المحور الثاني: شبهات الصلاة.

٤. مشروعية كتب الصلوات والصيغ المختلفة ومفهوم البدعة...

٥. بعض صيغ الصلوات، ورد الشبهات حولها، ومشروعية استخدام لفظ السيادة...

٦. الوسيلة والواسطة والشفاعة...

المحور الثالث: لماذا يستحق سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كل هذا القدر؟

٧. العظمة والقدر عند الله، وأنه لا غلو في تعظيمه...

٨. رحمة للعالمين...

٩. وإنك لعلى خُلق عظيم...

المحور الرابع: محبته.

١٠. مدخل المحبَّة/ المحبة العقلية والقلبية...

١١. مدخل التعرف...

١٢. نماذج للتعرف...

(المدائح، محبة أهل البلدان المختلفة).

١٣. مظاهر المحبة/ ثمرات المحبة.

١٤. هل للمحبة حدود؟

وهل هناك شبهة شرك في محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

المحور الخامس: الاتباع والأدب.

١٥. مفهوم الاتباع/ مفهوم السنة...

١٦. الاتباع والمحبة...

١٧. الأدب/ الصحابة نموذجًا/ مخالفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

المحور السادس: محبة آل البيت.

١٨. محبة آل البيت...

١٩. محبة الآل بين النَّصَب والرفض/ والدا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

المحور السابع: العصمة (الشك والارتياب).

٢٠. العصمة/ بشر غير البشر.

٢١. نماذج للشبهات (حَسِّنِ الظن، وتوقفْ عما لا تفهمه).

المحور الثامن: أين هو الآن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

٢٢. الحياة البرزخية...

٢٣. الرؤيا والرؤية...

٢٤. الزيارة...

٢٥. البركة والتبرك...

المحور التاسع: علاقتنا به الآن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٢٦. السند...

٢٧. نُصرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...

المحور العاشر: حلقات الدلائل (في حال أردنا إضافة حلقات).

٢٨. قصة كتاب دلائل الخيرات...

٢٩. نموذج لمن يقرأ دلائل الخيرات (قراءة دلائل الخيرات في فاس)...

٣٠. الختام...

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الـذي بعث في العالمين رسـولًا بالهدى وديـن الحق، فأضاءت الأكوان ببعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واهتـدى العالمون بأنوار متابعته، والصلاة والسلام على من جَعَلْتَ اسـمه متّحدًا باسـمك ونعتك، فانشـقَّت منه الأسـرار وتفجرت من عظمته الأنوار، سيدنا محمد الذي قدَّسته عن الهوى بالوحي، وعن المعصية بالعصمة، وهديته وهديت به فكانت هدايته ساريةً باقيةً إلى يوم يُبعثون...

وبعد...

فسـيدنا محمد أرسله الله لنا دليلًا لكل خير، ومفتاحًا لقلوب ذوي الألباب ممـن كتبهم الله عنده في زمرة عباده السـعداء، فبه تمَّـت المنة الكبرى على جميع الخلائق، وبظهور هذه الذات المحمدية اكتملت الغاية من وجود آدم.. لهذا كان هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـن علامات القيامة، فبظهور ذاته الشـريفة اكتمـل ظهور الحق وسـرى النـور في الكائنات، ودخل الناس في دين الله أفواجًـا، قال تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيـتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾.

ولمَّـا كان اتباع النبـي فرضًا على كل فرد من أمته؛ وجـب علينا معرفة هذه الذات الشـريفة والإحاطة بالعلم الذي يوصلنـا إلى صحيح معرفته دون غلوٍّ ولا

تفريـط، وقد أخطأ أقوام مـن بني جِلدتنا في التعامل مع هذه الذات الشـريفة، فما عرفوه حقَّ معرفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا رعوا منهجه حقَّ رعايته، بل رموا من أكرمهم الله بقـدر من الاتبـاع والمحبة لهذا النبي بالمغالاة، وطعنوا في نياتهم ودينهم حتى وصـل بعضهـم إلى رميهـم بالشـرك، زورًا وبهتانًا... نسـأل الله لنا ولهـم الهداية وحسن الاستبصار.

ولهذا فقد حاولنا في هذا الكتاب طرح الإشـكالات والشبهات التي أُثيرت في عصرنا حول ذات سيدنا محمد ومناقشتها، والرد على ما يتعلّق بها من الكتاب والسـنة وأقـوال علماء الأمة، كمـا أوردنا ما يجب علينا معرفتـه من فضائل النبي وخصائصه، وما يجب علينا القيام به أداءً لحقِّه الشريف علينا.

وهذه صفحات ذيلناها للسلسـلة الوثائقيـة القيّمة (دليل الخيرات) التي تم عرضها في شـهر رمضـان ١٤٤٦هـ على منصات (نـور المحبين)، والتي جمعت عـددًا مـن علماء الأمة في عصرنـا الحالي من مختلف الأمصـار؛ اجتمعوا في هذا البرنامـج لبيان الفهم الصحيح لاتباع هـذا النبي العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله تعالى من وراء القصد.

شيماء العطار

١ ذي الحجة ١٤٤٦هـ

مشروعية الصلاة والسلام على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أولًا: من القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ثانيًا: من السنة النبوية

فقد تواترت الأحاديث النبوية التي تبيِّن فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**

(١) رواه مسلم في (صحيحه).

حَيْثُ كُنْتُمْ»[1]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ**»[2].

ثالثًا: إجماع الأمة على مشروعيتها...

أما عن بيان حكم الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد نقل جمعٌ من الفقهاء والعلماء الإجماعَ على أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضٌ على الجملة، وأنها تجب على كلِّ مسلمٍ مرة في العمر، فمن لم يفعلْها في العمر مرةً أثم.

وعلى استحباب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما ذُكِر.

قال في (الشفاء)[3]: [قال القاضي أبو بكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل لذلك وقتًا معلومًا، فالواجب أن يكثرَ المرء منها ولا يغفل عنها، وذكر قبل ذلك أن الإجماعَ على أن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضٌ على الجملة، وأن المشهور عن أصحابنا: أنها إنما تجب مرةً في العمر، وكرّر ذلك] اهـ.

(١) رواه أبو داود في (السنن).

(٢) أخرجه الترمذي في (كتاب الدعوات)، حديث حسن غريب.

(٣) أي: القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى).

معنى صلاة الله وملائكته عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان كيفيتها

صلاة الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسِّرَت بثنائه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلاة الملائكة عليه فُسِّرَت بدعائهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فسّرها بذلك أبو العالية كما ذكره عنه البخاري في صحيحه في مطلع باب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال البخاري في تفسير صلاة الملائكة عليه بعد ذكر تفسير أبي العالية: قال ابن عباس: «يصلون: يبركون»، أي يدعون له بالبركة.

وفُسِّرَت صلاة الله عليه بالمغفرة وبالرحمة، كما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح عن جماعة، وتعقَّبَ تفسيرها بذلك ثم قال: «وأولى الأقوال ما تقدّم عن أبي العالية: أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه طلب ذلك له من الله».

معنى السلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

السلام لغةً: السلام مأخوذ من الفعل سَلِمَ، يُقال: سلم يسلم سلامةً وسلامًا، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: «السين واللام والميم أصل صحيح يدل على الصحة والعافية»، السلام كذلك جمع، ومفردها: سلامة.

و(السلام) بالنسبة إلى البعض غياب النزاع.

أما بالنسبة إلى الآخرين، فهذا يعني إنهاء العنف أو الوقف الرسمي للأعمال العدائية.

السلام شرعًا: بمعنى التحية المعروفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال عكرمة:

«نزلت في الذين نهى الله عَزَّوَجَلَّ نبيّه عن طردهم، وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا رآهم بدأهم بالسلام».

الأمر بالصلاة والسلام على الجناب النبوي الشريف

معناه:

الاعتناء بإظهار شرفه وفضله وحرمته، والثناء عليه بكمال خِلْقته وفطرته، وجميل أخلاقه وشمائله وسيرته، وتمجيده بكريم مكانته ورفيع درجته، وتعظيم شأنه وذكره بعظيم ما أولاه مولاه، وتنزيهه عمَّا لا يليق بجنابه الشريف، والانقياد لأمره، وبذل الجهد واستفراغ الوسع في ذلك كله قولًا وفعلًا، على قدر ما تصل إليه القدرة وتستطيعه الطاقة.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

والتّمجيد: قال فيه المجد الفيروزآبادي في كتابه «الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر»: ومعناه: السلام الذي هو اسم من أسماء الله تعالى وتأويله: لا خلوت من الخيرات والبركات وسلمت من المكاره والآفات إذ كان اسم الله تعالى إنما يُذكَر على الأمور توقُّعًا لاجتماع معاني الخير والبركة فيها وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنها، ويُحتَمَل أن يكون السلام بمعنى السلامة؛ أي ليكن قضاء الله تعالى عليك السلامة، أي سلمت من الملام والنقائص.

فإذا قلت: اللهم سلم على محمد، فإنما تريد منه: اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على مرِّ الأيام علوًّا، وأمته تكثّرًا، وذكره ارتفاعًا».

فضائل الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أقرب القربات، وأعظم الطاعات، فمَن تمسَّك بها فاز بالسعادة في الدنيا، وغُفِر ذنبه في الآخرة، وهي جالبة للخيرات، قاضية للحاجات، دافعة للنقمات، بابٌ لرضاء الله، وجزيل ثوابه ومحبته لعباده؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصل كل خير في الدارين، وهو شفيع الخلائق في الآخرة، والصلاة على جنابه الشريف شفيع الدعاء في الدنيا...

لذلك جاء الأمر الشرعي بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنص الكتاب والسنة.

ما ورد في التنزيل في فضائل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

والصلاة على النبي من باب التحية له؛ يقول الإمام فخر الدين الرازي[1]: [فالله تعالى أمر الكل بأنهم إذا حيَّاهم أحدٌ بتحية أن يقابلوا تلك التحية بأحسن منها أو بأن يردوها، ثم أمرنا بتحية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾] اهـ.

ما ورد في السُّنة المطهرة في فضائل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أما السنة فقد تواترت الأحاديث النبوية التي تبيِّن فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أُبَيِّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«**كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا ذهب ربع الليل -وفي رواية: ثلثا الليل- قام فقال: أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله، اذْكُرُوا الله، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، قلت: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك، قلت: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قلت: فالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك، قلت: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ،**

(١) (مفاتيح الغيب)، (٣/ ٥٠٠، ط. دار إحياء التراث العربي).

وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ»[1]، وفي رواية للإمام أحمد في (المُسند) قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَنْ يَكْفِيَكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»[3].

المقصود هنا بالصلاة: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي بمعنى الدعاء له، يعني: الدعاء والصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه من المعلوم أنه ليس المقصود العبادة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن هذا اللفظ دليلٌ على أن الدعاء يُسمَّى صلاة، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء له، سُمِّيَت صلاة من باب إطلاق الكلِّ على الجزء.

---

(١) أخرجه الترمذيُّ في (سننه) وحسَّنه، والحاكمُ في (المستدرك على الصحيحين) وصحَّحه، والبيهقي في (شُعب الإيمان).

(٢) رواه مسلم في (صحيحه).

(٣) رواه أبو داود في (السنن).

وقال الدكتور مصطفى ديب البغا في تعليقه على صحيح البخاري: «**أنا عند ظن عبدي بي**» أي أجازيه بحسب ظنه بي، فإن رجا رحمتي وظن أنني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك، لأنه لا يرجوه إلا مؤمن علم أن له ربًّا يجازي، وإن يئس من رحمتي، وظن أنني أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك؛ لأنه لا ييأس إلا كافر.

الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتوسل به سبب في شفاء السقام

أخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث عثمان بن حنيف: «**أن رجلا ضريرَ البصر أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهم فشفعه فيّ**».

التوسل بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقضاء الحاجات

النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رحمةُ الله للعالمين؛ فهو سببُ وصولِ الخير ودفْع الشر والضر عن كل الخلق في الدنيا والآخرة، وكما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفيعُ الخلائقِ، فالصلاةُ عليه شفيعُ الدعاء؛ فبها يُستجَاب الدعاء، ويُكشَف الكرب والبلاء، وتُستنزَل الرحمة والعطاء.

وقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو الصادق المصدوق- أنَّ الإكثار منها حتى تستغرق مجلسَ الذكر سببٌ لكفاية المرء كلَّ ما أهمه في الدنيا والآخرة، ووردت الآثارُ عن السَّلف والأئمَّة بأنها سببٌ لجلب الخير ودرء الضّر.

وعلى ذلك جرت الأمَّةُ المحمديةُ منذ العصر الأول، وتواتر عن العلماء أن عليها في ذلك المعول؛ حتى عدوا ذلك من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المستمرَّة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ضمانٌ لحسن الخاتمة

«**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**».

إن هذا الحديث من أعظم الأحاديث في فوائد الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحديث رواه الترمذي وابن حبان كما في صحيح الترغيب، فالمواظبة على الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جوالب حسن الخاتمة.

صلاتنا على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معروضة عليه في برزخه (قبره الشريف)

عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله وكَّلَ بقبري ملكًا أعطاه الله أسماء الخلائق، فلا يصلي عليَّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: هذا فلان بن فلان قد صلى عليك**».

والحديث رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبان، ولفظه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله تبارك وتعالى ملكًا أعطاه أسماء الخلائق، فهو قائم على قبري إذا مت فليس أحدٌ يصلي عليَّ صلاة إلا قال: يا محمد، صلى عليك فلان بن فلان، قال: فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرًا**»[1].

(١) رواه الطبراني في الكبير بنحوه. قال الحافظ: رووه كلهم عن نعيم بن ضمضم.

الشبهات، واختراع صيغٍ لم ترْد عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحديث عن مفهوم البدعة

ما مفهوم البدعة في الدين؟

وما البدعة الحسنة؟

وهل هناك بدعة حسنة في الدين؟

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**».

ومفهوم هذا الكلام النبوي البليغ أن من أحدث فيه ما هو منه فهو مقبول؛ تمامًا كما فعل سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأذان الثاني يوم الجمعة، وما فعله سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جمع الناس على التراويح جماعةً عشرين ركعة، فكان ذلك منهما سُنَّةً حسنة، وهكذا...

وهذا هو فهم الأئمة والمذاهب الفقهية المتبوعة، وهو ما جرى عليه عمل المسلمين سلفًا وخلفًا من غير نكير معتبَر، ولو لم نقلْ بذلك لضاقت على الناس معايشهم ولأصبح واجبًا عليهم ترك كثيرٍ من أمور حياتهم ومعيشتهم.

والعلماء يقسمون البدعة إلى أقسام: فمنها المباحة، ومنها المستحبة، ومنها المحرَّمة، ومنها المكروهة، ومنها الواجبة؛ أي إنها تعتريها الأحكام التكليفية الخمسة.

وقد شذَّ في هذه البعض، فزعم أنه ما من بدعة إلا وهي سيئة؛ مخالفًا بذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا... وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا...**»[1].

وعليه يكون المراد من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» ما جاء على غير أصول الشرع المتفق عليها، وخالف منهج الإسلام الصحيح، وليس كل ما هو مُحدَث.

قاعدة: (الأصل في الأشياء الإباحة) قاعدةٌ معتبَرة أوردها الإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (الأشباه والنظائر) في شرح القواعد الخمسة التي ترجع إليها جميع مسائل الفقه، وهي مستنبطة من الحديث الشريف الذي رواه الطبراني من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها (فلا تفعلوها)، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء، من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**».

وفي لفظ: «**وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تتكلفوها، رحمة لكم فاقبلوها**».

---

(١) رواه مسلم.

صيغة الأذان موقوفة على الصحابي عبد الله بن مسعود:

معنى الموقوف على الصحابي:

الموقوف: هو ما يُروى عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أقوالهم وأفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يتجاوز بها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا النوع منه الصحيح والحسن والضعيف.

وصيغة الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست توقيفية، فإذا صلى عليه المسلم بأي صيغة أجزأه ذلك، وحصل له أجر الصلاة عليه -إن شاء الله تعالى- ما لم تشتمل الصيغة على محذور.

ما حكم الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيغة معينة؟ وهل اختراع صيغ للصلاة على النبي بدعة؟

ظهرت في الأمة الصيغ المتكاثرة للصلاة على سيد الدنيا والآخرة صلى الله عليه وعلى عترته الطاهرة؛ كالصلاة العلوية؛ التي كان سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يعلمها الناس على المنبر، والصلاة الأسعدية التي ذكرها الإمام الشافعي في أول (الرسالة)، والصلاة المشيشية للقطب السيد عبد السلام بن مشيش، وصلاة النور الذاتي للقطب السيد أبي الحسن الشاذلي، والصلوات القادرية للقطب السيد عبد القادر الجيلاني، والصلاة الذاتية للقطب السيد إبراهيم الدسوقي، والصلاة الأسبقية للقطب السيد أحمد الرفاعي، والصلاة النورانية

للقطب السيد أحمد البدوي، والصلاة العظيمية لسيدي أحمد بن إدريس، وغير ذلك من الصيغ التي تنوَّعت فيها المشارب والأذواق، وسارت في المسلمين مسير الشمس في الآفاق، وانتشرت بين الذاكرين عباراتُها وكلماتُها، وكثُرَت في الأمة مجالسها وحلقاتُها، وظهرت في الصالحين بركاتها ونفحاتُها.

وقد حدَّث علماء الأمة بما رأوه من المبشِّرات النَّبوية لمَنْ ألهمه الله هذه الصيغ المبارَكة في الصلوات النبوية، وتناقلوها جيلًا عن جيل؛ مستشهدين بها على عظم ثواب ذلك وقبوله، ووقوعه موقعَ الرضا من الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كمثل رُؤَى الأئمة لبشارات المغفرة والقبول والرضوان للإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما ألهمه الله إياه من الصلاة الأسعدية في مقدمة (الرسالة)؛ كرؤيا الإمامِ عبد الله بن عبد الحكم [ت: ٢١٤هـ] تلميذِ الإمام مالك، التي نقلها الإمامُ الطحاويُّ الحنفي [ت: ٣٢١هـ] وحدَّث بها، ورؤيا الإمام المُزَني [ت: ٢٦٤هـ]، ورؤيا أبي الحسن الشافعي، ورؤيا ابن بُنان الأصبهاني، ورواها أو بعضَها جماعةٌ من الحفاظ؛ كالنميري، وابن بشكوال، وابن عساكر، وابن مسدي، والتاج السبكي[1]، وساقها القاضي الحسين [ت: ٤٦٢ هـ] في (التعليقة)[2]، والحافظ ابن الجوزي في (صفة الصفوة)[3]، والشيخ ابن القيم في (جلاء الأفهام)[4]،

(١) (الطبقات) (١/ ١٨٨، ط. هجر).
(٢) (١/ ١١٦، ط. مكتبة نزار).
(٣) (١/ ٤٣٨، ط. دار الحديث).
(٤) (ص: ٤٨٩).

والحافظ السخاوي في (القول البديع)[1]، والعلامة ابن حجر الهيتمي في (الدر المنضود)[2]، وغيرهم.

ومن ذلك صلاة طبِّ القلوب التي صيغتُها: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وقوت الأرواح وغذائها، وروح الأرواح وسر بقائها، وعلى آله وصحبه وسلم»، وهي صيغة مباركة صحيحة للصلاة على سيد الأكوان وحبيب الرحمن وأعظم إنسان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها من الفرج والخير والبركة والفتح الميمون، ونفحات الصلاة على الأمين المأمون، ما رآه الذاكرون، وسعد به المصَلُّون، وقرَّتْ به العيون.

ولا التفات إلى ما يثيره البعض من بدعية هذه الصيغة واتهام قائليها بالشرك؛ فإنما أُتِيَ هؤلاء من جهلهم باللغة، وضيق أفهامهم عن سعتها وبلاغتها ومجازاتها، وسوء ظنهم بالمسلمين عبر القرون، وعدم إدراكهم للعجز البشري عن الإحاطة بالقدر المحمدي والمقام المصطفوي.

ولو أنصفوا لعلموا أنَّ الله هو الذي وفَّق الأمة إلى إحسان الصلاة على نبيه المصطفى وحبيبه المجتبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي ألْهَمَ المسلمين هذه الصيغ المباركة في الصلوات النبوية على خير البرية؛ لعظيم مكانته عليه، وكريم منزلته لديه، وأنَّ الناس لا يفهمون من قدره إلا بقدر ما تستطيعه أفهامهم وتبلغه عقولهم، وإلا فلا يَعْلَم قدَره إلا الذي شرح صدره، ورَفَعَ ذكرَه، وأتمَّ نصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ...

(١) (ص: ٤٦٧).

(٢) (ص: ٢٥٧، ط. دار المنهاج).

وبناءً على ذلك: فالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جائزةٌ بكل صيغة واردة أو مستحدَثة؛ ما دامت لائقةً بمقامه الشريف وكماله المنيف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انتهى[1].

الصلاة الإبراهيمية

إنَّ الصيغة الفضلى هي الواردة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي علمها أصحابه رضوان عليهم بقوله: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، وهي الصيغة التي وردت في صحيح البخاري عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

إن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل ما تكون إذا كانت بالصيغة الإبراهيمية التي دل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمته وأصحابه عليها، فإذا صلى الشخص الصلاة الإبراهيمية، فذلك أفضل وأكمل ما يكون؛ لأن القاعدة في الشرع: «الوارد أفضل من غير الوارد»، فالصلاة بهذه الصيغة الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل.

(١) فتوى رقم: ٦٤٦٧، دار الإفتاء المصرية.

صيغ الصلوات المشهورة التي صاغها الأئمة الكبار

صيغة الإمام علي بن أبي طالب:

«اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَبَارِئَ الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ؛ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ وَالدَّامِغِ لِجَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ وَاعِيًا لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ، آلَاءُ اللهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابَهُ، بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالإِثْمِ، وَأَبْهَجَ مُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ وَنَائِرَاتِ الأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الإِسْلَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً، اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَاجْزِهِ مِن ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطَّةٍ فَصْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ».

صيغة سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْه، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْه، قُولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ،

وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ»[1].

لطيفة:

والمراد من هذا الحديث هو إحسان الصلاة الذي يحصلُ بكل ما يؤكِّدُ مقاصدها، ويبلغُ مرادها، ويُفْصِحُ عن الشرف النبوي، ويُبَيِّنُ مظاهر الكمال المحمدي؛ اعتناءً واقتداءً، وتمجيدًا وثناءً، وفي ذلك إذنٌ بالصلاة عليه بكلّ ما يمكن ذكره به من صيغٍ حسان، وأوصافٍ ومعان، وإذنٌ باستحداث ما يُستطَاع من الصيغ الفصيحة المعبّرة عن ذلك؛ على وسع ما تصل إليه بلاغة المرء في التعبير اللائق عن خير الخلائق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تقيدٍ بالوارد؛ كما قرَّره المحقّقون ودرج عليه العلماء والصالحون، سلفًا وخلفًا من غير نكير؛ حتى فعل ذلك الصّحابة والتابعون، وتتابع عليه العلماء والأولياء والعارفون، عبر الأعصار والقرون، وتفنَّن علماء الأمة وأولياؤها وعارفوها في صيغ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نثرًا ونظمًا بما لم تبلغْه أمةٌ من الأمم في حقّ نبيٍّ من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم؛ قال الحافظ جمال الدين بن مُسْدِي [ت: ٦٦٣هـ] -فيما نقله عنه الحافظ السخاوي[2]-: [وقد رُوِيَ في كيفية الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديثُ كثيرة، وصنَّف في ذلك جماعة جمعوا الأبواب وهذَّبوا التراجم].

---

(١) رواه ابن ماجه في (السنن)، وعبد بن حُمَيد، وأبو يعلى، والشاشي في (مسانيدهم)، وغيرهم، وهو أثرٌ صحيح له حكم الرفع؛ لأنه مما لا يُقَال بالرأي، وحسّنه جماعةٌ من المحدِّثين.

(٢) (القول البديع) (ص: ١٤٦، ط. مؤسسة الريان بالمدينة المنورة، ت. الشيخ محمد عوامة).

الصلاة الشافعية: للإمام محمد بن إدريس الشافعي:

فأما الصلاة الشافعية، فهذه الصلاة المباركة ذكرها الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه الرسالة، وقد ذكروا أنه أول من صلى بها، ثم تبعه كثيرٌ من العلماء الشافعية وغيرهم على ذلك؛ يتبركون بذكرها في مصنفاتهم، منهم الإمام البيهقي، فقد ذكرها في الدلائل وفي السنن الكبرى وفي غيرهما.. والإمام النووي، والإمام السيوطي، وغيرهم..

وقد اعتاد العلماء أن يستفتحوا أو يختتموا بها مجالس الدرس والذكر، والمجالس ذات الأهمية.

وأما نصُّها فهو: «اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُك، وَخَطَّ به قَلَمُك، وَأَحْصَاهُ كِتَابُك، والرِّضَا عن سَادَاتِنا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وعُثْمَانَ وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

مشروعية الاجتماع
لمجالس الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أولا: مشروعية الاجتماع لمجالس ذكر الله

جاءت الأدلة الشرعيَّة من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية متضافرةً في الحثِّ على مجالس الذِّكر والاجتماع عليها؛ ومن ذلك قول الله تعالى مخاطبًا نبيه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ [الكهف: ٢٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»، و(الذكر في الملأ لا يكون إلَّا عن جهرٍ)؛ كما قال الحافظ السيوطي في (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر).

ثانيًا: بيان مشروعية رفع الصوت بالذكر والجهر به في جماعة

قد نصَّ العلماء على مشروعية رفع الصوت بالذكر والجهر به خاصةً إذا كان الذاكرون جماعة.

قال الإمام ابن عطاء الله السكندري في (مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح): [وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقِّهم رفع الصوت بالذِّكر، مع توافق الأصوات بطريقةٍ موزونةٍ] اهـ.

ثالثًا: مشروعية الجهر بالصلاة على سيدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جماعة

الاجتماع للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهرًا مشروعٌ؛ امتثالًا للأمر النبوي الشريف: كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**»[1]. ومعنى قوله: (ترة): يعني حسرة وندامة.

ولفظ النهي عن ترك الصلاة عليه في المجلس لفظ عامٌّ، كما أن المجلسَ الخالي عن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان حسرة على أصحابه، فإن المشتمل عليها يكون محلَّ الرحمة والرضا من الله تعالى، ومحلَّ نظر رسوله ورعايته، خاصة وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عبَّر بلفظ (القوم)، ولا يصدق إلَّا على جماعة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن لله سيارةً من الملائكة، إذا سمعوا حِلَق الذكر قال بعضهم: اقعدوا، فإذا دعا القومُ أمَّنوا على دعائهم، فإذا صلَّوْا على النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلوا معهم حتى يفرغوا، ثم يقول بعضهم لبعض: طوبى لهؤلاء يرجعون مغفورًا لهم**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في (السنن)، وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) رواه أبو القاسم التميمي في (الترغيب والترهيب).

حكم ذكر لفظ السيادة

مسألة: ما حكم ذكر لفظ السيادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأذان والتشهد في الصلاة[1]؟

الجواب: لا مانع شرعًا من ذلك، بل استحبَّ ذلك كثيرٌ من الفقهاء.

وقالوا: إن فيه حسنَ أدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وامتثالًا للنصوص المتكاثرة في تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقيره.

منها قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

وَ﴿**تُوَقِّرُوهُ**﴾، أي: تسودوه؛ من السيادة.

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**».

أما حديث: «**لَا تُسَيِّدُونِي فِي الصَّلَاةِ**» فباطلٌ لا أصلَ له.

وحديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**إن أهلَ قريظةَ لما نزلوا على حكمِ سعدٍ أرسلَ إليه النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فجاءَ على حمارٍ أقمرَ فقال النبيّ: قوموا إلى سيدِكم. أو إلى خيرِكم، فجاء حتى قعدَ إلى رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

---

(١) فتوى رقم: ٦٨٠، دار الإفتاء المصرية.

(٢) متفق عليه.

وقولـه تعالـى: ﴿ فَنَادَتْـهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُـوَ قَآئِمٌ يُـصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَـحْيَىٰ مُصَـدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَـيِّدًا وَحَصُـورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

جاء في تفسير ابن كثير عند قوله ﴿ وَسَـيِّدًا ﴾: قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، وسعيد بن جبير، وغيرهم: الحكيم، وقال قتادة: سيدًا في العلم والعبادة. وقال ابن عباس، والثوري، والضحاك: السيد الحكيم المتقي، وقال سعيد بن المسيب: هو الفقيه العالم. وقال عطية: السيد في خلقه ودينه. وقال عكرمة: هو الذي لا يغلبه الغضب. وقال ابن زيد: هو الشريف. وقال مجاهد وغيره: هو الكريم على الله عَزَّوَجَلَّ.

وقولـه تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَـيِّدًا وَحَصُـورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩] يدل على أن غير الله تعالى يجوز أن يُسَمَّى بهذا الاسم؛ لأن الله تعالى سمى يحيى (سيدًا)؛ والسيد هو الذي تجب طاعته.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

فقد جاء في مفاتيح الغيب للرازي: [ففيه وجوه؛ أحدها: وهو اختيار المبرد والقفال: ولا تجعلوا أمره إياكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم لبعض إذ

كان أمـره فرضًـا لازمًا، والذي يدل على هذا قوله عقيب هـذا: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** ﴾.

وثانيهـا: لا تنـادوه كما ينـادي بعضكم بعضًا: يـا محمد، ولكـن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، عن سعيد بن جبير.

وثالثهـا: لا ترفعـوا أصواتكم في دعائه وهـو المراد من قولـه: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ** ﴾ عن ابن عباس.

ورابعها: احذروا دعاء الرسـول عليكم إذا أسـخطتموه، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره].

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنزلوا الناس منازلهم**»:

وهـو حديث أخرجه أبـو داود، والحاكم في (معرفة علـوم الحديث)، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنه مرَّ بها سائل فأعطته كسرةَ خبز، ومرَّ بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدتـه فـأكل، فقِيلَ لهـا في ذلك فقالت: قـال رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنزلوا الناس منازلَهم**».

قال صاحب عون المعبود: «**أنزلوا الناس منازلهم**» أي: عاملوا كلَّ أحدٍ بما يُلائم منصبَه في الدّين والعلم والشرف. انتهى.

سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هو الواسطة بين الخالق والمخلوق

قال الله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

قال القشيري في لطائف الإشارات: [أي إن البيان إليك، فأنت الواسطة بيننا وبينهم، وأنت الأمين على وحينا].

بيان المقصود بالوسيلة والتوسّل

الوسيلة: قال صاحب (لسان العرب)[1]: [الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك، ووسل فلان إلى الله وسيلة، إذا عمل عملًا تقرّب به إليه، والواسل كالراغب إلى الله].

و**توسَّل** إليه بوسيلة إذا تقرّب إليه بعمل.

و**الوسيلة**: الواصلة والقربى وجمعها الوسائل.

قال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال الجوهري: [الوسيلة ما يتقرّب به إلى الغير، والجمعُ: الوسل والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد] اهـ.

(١) ابن منظور، ١١/ ٧٢٤.

وقال الراغب الأصفهاني في كتاب «المفردات في غريب القرآن»:

الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة؛ لتضمنها معنى الرغبة قال تعالى: ﴿ **وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة: ٣٥] وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة] اهـ.

وفي الحديث: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ**»[1].

الأدلة الواردة على مشروعية التوسل

من التوسل المشروع ما ورد في (صحيح البخاري): أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استسقى بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». قَالَ: فَيُسْقَوْنَ. فلا يخفى أن توسُّلهم به هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه.

وما ورد أيضًا من الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام النسائي والإمام الترمذي وصحّحه والإمام ابن ماجه وغيرهم: «**أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ: ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يُعَافِيَنِي، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ**

(١) رواه مسلم.

نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، فرد الله بصره.

وقد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة أن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الشافع المشفَّع، وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربّه.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[1].

وفي (سنن أبي داود): أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. فقال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ**».

فأقره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قوله: «**نستشفع بك على الله**»، وأنكر عليه قوله: «**نستشفع بالله عليك**».

وبما ذكره الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: عن العُتبيّ قال: «كنتُ جالسًا عند قبر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء أعرابيٌّ فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٤].

وقد جئتُك مستغفرًا من ذنبي، مستشفعًا بك إلى ربي...

(١) رواه البخاري.

ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفنتْ بالقاع أعظُمُه فطابَ من طيبهنَّ القاع والأكمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَمُ

قال: ثم انصرفَ، فحملتني عيناي، فرأيت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم، فقال لي: يا عُتْبيّ، الحَقِ الأعرابيَّ، فبشِّره بأن الله تعالى قد غفر له»[1].

حكم التوسل بالأنبياء والمرسلين

بهذا البيان يتضح:

١. أن التوسل بالأنبياء والمرسلين جائز.

٢. وأن المقصود من التوسل: التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وليس في هذا العمل شرك والعياذ بالله.

٣. وأن المسلم المعتقد بالتوسل بالأنبياء والمرسلين عقيدته صحيحة سليمة؛ يعلم تمام العلم أن الله عَزَّوَجَلَّ هو النافع الضار المعطي المانع.

٤. وأن المتوسل بالأنبياء والمرسلين إنما يقصد التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقربهم ومكانتهم عند الله جلّ شأنه، وأن لهم شفاعةً؛ منَّ اللهُ عليهم بها.

(١) الأذكار، ص ٢٠٦.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هو باب الدخول الأعظم على الله عَزَّوَجَلَّ

الشهادتان: حتى يدخل الإنسان الإسلام لا بد له من شهادته أن محمدًا رسول الله وإلا لم يكمُلْ إسلامُه ولا يصح.

الشفاعة: هذا الحديث أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، وأخرجاه كذلك من حديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم! أما ترى الناس ويذكرونه بما ذكروه من قبل حتى يأتوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدًا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيأتونني فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، ارفع محمد، وقل يُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفع، فأحمد ربي بمحامدَ علمنيها، ثم أشفع فيحُدّ الله عَزَّوَجَلَّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة [يعني: يقسم لي من الناس قسمًا فيدخلون الجنة بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع محمد، قل يُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفع، فأحمد ربي بمحامدَ علمنيها ثم أشفع، فيحدُّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا حتى قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يا رب، ما بقيَ في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود».

أي لـم يبق في النـار أحد إلا من حبسـه كفره بالقرآن الكريـم، فهو من أهل الخلود فيها، فإنه لا شفاعة حينئذ.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشـقُّ عنه القبر ويأتي إلى ربه، وأول شـافع، وأول مشفع**».

وأخـرج الترمذي مـن حديث أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قولـه تعالـى: ﴿**وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا**﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: هي الشفاعة.

فالشـفاعة من كذَّب بها فقد كذب بالقـرآن، أي: بالمقام المحمود المذكور في القرآن.

شرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وعِظم قدرِهِ عند ربه

وَمِنْ رِوَايَةِ ابن وَهْبٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: سَلْ يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ مَا أَسْأَلُ؟ يَا رَبِّ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَاصْطَفَيْتَ نُوحًا، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ...

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ. أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ، وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي يُنَادَى بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ طَهُورًا لَكَ وَلِأُمَّتِكَ، وَغَفَرْتُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ، وَلَمْ أَصْنَعْ ذَلِكَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا، وَخَبَّأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ وَلَمْ أَخْبَأْهَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، رواه حُذَيْفَةُ: «**بَشَّرَنِي -يَعْنِي رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ- أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعِي مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمُ حِسَابٌ، وَأَعْطَانِي أَنْ لَا تَجُوعَ أُمَّتِي وَلَا تُغْلَبَ، وَأَعْطَانِي النَّصْرَ وَالْعِزَّةَ وَالرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهْرًا، وَطَيَّبَ لِي وَلِأُمَّتِي الْمَغَانِمَ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**».

من تعظيم الله لقدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَرن اسمه باسمه سبحانه

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

قال مجاهد: [لا أُذكَر إلا ذُكِرْتَ معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله].

وقال قتادة: [رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله].

وذكر ابن جرير حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: تدري كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: لا أُذكَر إلا ذُكِرت معي**».

ومن شعر حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقّ له من اسمه ليُجلّهُ ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون:

رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهد ذكره في أمته، فلا يُذكَر الله إلا ذُكِر معه.

أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سمَّى الله عَزَّوَجَلَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن الكريم بـ(محمد)، و(أحمد) وذكر اسم محمد في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومُحَّمد هو كثير الخصال التي يُحمَد عليها، قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وشقَّ له من اسمه ليُجِلّه فذو العرش محمود وهذا مُحَمّد

أما اسم (أحمد) فقد ذُكِرَ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

قال ابن حجر: [ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق الشاهد، المبشر، النذير المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير، وفيه أيضًا: المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادي، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر].

الماحي، الحاشر، العاقب:

ثبت في أحاديث صحيحة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ظاهره تحديد عدد أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كحديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ**»[1].

قال الحافظ ابن حجر: [والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء اختص بها لمْ يُسَمَّ بها أحد قبلي، أو مُعظَّمة، أو مشهورة في الأمم الماضية، لا أنه أراد الحصر فيها].

وفي رواية مسلم: أنّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشَر الناسُ على قدَمَيَّ، وأنا العاقِب والعاقِبُ: الذي ليس بعده نبيٌّ**»، وقد سماه الله رَؤوفًا رحيمًا»[2].

المتوكل:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قرأت في التوراة صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: محمد رسول الله، عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ»[3].

المُقَفِّي، نبي التوبة، نبي المرحمة، نبي الملحمة:

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان رسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يسمي لنا نفسه أسماء فقال: أنا محمد، وأحمد، والمُقَفِّي، ونبي التوبة، ونبي المرحمة المختار، المصطفى، الشفيع المشفع، الصادق المصدوق**».

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

قال ابن حجر: [من أسمائه المشهورة: المختار، والمصطفى، والشفيع المشفع، والصادق المصدوق].

بعض معاني أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الماحي: هو الذي محا الله به الشرك والعقائد الوثنية من الجزيرة العربية.

الحاشر: هو الذي يُحشر الناس على قدمه؛ أي على أثره، فكأنه بُعِث ليحشر الناس.

العاقب: الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعدَه نبي؛ فإن العاقب هو الآخر، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المُقَفِّي: هو الذي قفّى على آثار من تقدمه وسبقه من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم.

نبي التوبة ونبي الرحمة[1]: قال النووي: [ومقصوده أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالتوبة والتراحم]، فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبةً لم يحصلْ مثلها لأهل الأرض قبله، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر الناس استغفارًا وتوبةً.

نبي الملحمة: هو الذي بُعِث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قطّ ما جاهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته.

---

(١) رواه مسلم، وفي رواية أخرى: (ونبي الملحمة).

الأمين: هو أحقُّ الناس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الاسم، فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين مَنْ في السماء، وأمين من في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة (الأمين).

البشير: هو المبشر لمن أطاعه بالثواب.

و**النذير**: المنذر لمن عصاه بالعقاب.

وقد سمَّاه الله عبده في مواضع من كتابه: **المنير**؛ سماه الله سراجًا منيرًا، وسمى الشمس سراجًا وهاجًا، فالمنير هو الذي ينير من غير إحراق، بخلاف الوهّاج فإن فيه نوع إحراق وتوهج.

ثناء الله تعالى
على خُلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

قال العوفي، عن ابن عباس: أي وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد.

وقال عطية: لعلى أدب عظيم.

وقال معمر عن قتادة: سُئِلت عائشة عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: كان خلقه القرآن، تقول كما هو في القرآن.

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]؛ ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: «**ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن**».

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام، قال: «**سألت عائشة فقلت: أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم... فقالت: كان خلقه القرآن**».

مظاهر رحمة النبي بالخلائق أجمعين

رحمته بالضعفاء

كان النبـيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهتـمُّ بشـأنهم، ويأمُر بحُسـن مُعاملتهـم؛ لأنّهـم مظنَّة وقـوع الظُّلم عليهـم، وأوصى بهم وبـأداء حُقوقهـم، فقـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهـو يوصـي النـاس بالخـدَم الذين يعملون عندهم: «**إِنَّ إِخْوَانَكُـمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فمَـن كانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ ممَّا يَأْكُلُ، ولْيُلْبِسْـهُ ممَّا يَلْبَسُ، ولَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ فأَعِينُوهُمْ**»[1].

رحمته باليتامى والأرامل

فقد حثَّ على كفالتهم، وعدَّ ذلك كأجر الجهاد في سبيل الله.

رحمته بالنساء

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرأف الناس بأهله وأزواجه وبناته، فكان عندما تأتي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إليه يُقبّلها ويُجلسها في مكانه، وكان إذا أرادت أمّ المؤمنين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تركبَ على البعير يجلس فيرفع لها ركبته لتصعد عليها وتركب البعير.

(١) رواه الكمال بن همام في (شرح فتح القدير) عن أبي ذر الغفاري، والحديث صحيح.

وقد أكثر من الوصيّة بالنساء والبنات، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا واسْتَوْصُوا بالنساءِ خيرًا، فإنما هُنَّ عَوَانٌ عندَكم، ليس تَمْلِكُونَ منهن شيئًا غيرَ ذلك إِلَّا أن يَأْتِينَ بفاحشةٍ مُبَيِّنَةٍ**».

وقال: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ البَنَاتِ بشيءٍ، فأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ له سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»[1].

رفق النبي وملاطفته للأطفال

لقد بلغت شفقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحمته بالناس أنه كان يخفف من صلاته عندما يسمع بكاء الأطفال؛ رأفةً بهم وبأمهاتهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي؛ مما أعلم من وَجْدِ أمِّه من بكائه**»[2].

فقد روي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب، إذا قام حمَلَها وإذا سجدَ وضعَها.

وجاء الحسن والحسين وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران، فنزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من على المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال:

«**صدق الله ورسوله: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [الأنفال: ٢٨]، **نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**».

---

(١) رواه الترمذي، في سنن الترمذي، عن عمرو بن الأحوص، والحديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما رأيتُ أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله**»[1].

روى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**كان لي أخٌ يقال له: أبو عمير، كان إذا جاءنا رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: يا أبا عمير، ما فعل النُغير**»[2] (النغير: طائر صغير).

وعن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أنَّ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان يصلي وهو حامل أُمَامَة بنت زينب بنت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها**»[3].

رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخدمه

فكان يُعاملهم بالكرم والأخلاق، ويُعلّمهم ويُرشدهم، ويبتعد عن توبيخهم فيما يقع منهم من الأخطاء، فقد جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد خدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَدَمْتُ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَشْرَ سِنِينَ، فَما قالَ لِي: أُفٍّ، ولَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ ولَا: أَلَّا صَنَعْتَ**»[4].

كما كان يُعامل خدمه الصغار بالحلم والرحمة، وكان يمازحهم ويعطف عليهم، والأحاديث الشاهدة على ذلك كثيرة، خاصة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ كان يخدم النبيَّ منذ صغره.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري عن أنس بن مالك، صحيح.

رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمرضى

فكان يأمر بزيارتهم، والشفقة عليهم، والعناية بهم، وإدخال الفرح على قُلوبهم.

وجاءت الكثير من الأحاديث النبويَّة التي تحثُّ على ذلك، كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن عادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ، قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، وما خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قالَ: جَناها**»[1].

رحمته بالمؤمنين وأُمّته ورعيّته

بلغ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قمّة الرحمة في أُمّته؛ حيث دعا دعوةً وطلب تأخير إجابتها إلى يوم القيامة، وهي شفاعته لأمّته، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه لم يكنْ نبيٌّ إلا له دعوةٌ قد تَنَجَّزها في الدنيا، وإنّي قد اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي**»[2].

رحمته بالجُهّال

ومن عظيم رحمته وأخلاقه في التعامل مع من أخطأ من أمّته: قصّة الرجل الذي قام بالتبوّل في المسجد أمام الناس، فقد نهى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن تغليظه ونهره، ونصَحَه وعلّمه وأرشده بلطفٍ.

---

(١) رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن ثوبان مولى رسول الله، صحيح.

(٢) والحديث في صحيح ابن ماجه، عن أبي هريرة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بال أعرابيٌّ في المسجد، فقام الناس إليه ليقَعوا فيه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعُوهُ وأريقوا على بوله سَجْلًا من ماءٍ، أو ذَنوبًا من ماءٍ، فإنما بُعِثتُم مُيسِّرينَ، ولم تُبعَثوا معسِّرين**»[1].

بالإضافة إلى الاهتمام بالأمّة في جانب العبادات، والتيسير عليهم، كمُراجعته لربّه في تخفيف الصلاة عن أُمّته وجعلها خمس صلوات بدلًا من خمسين.

وكان يُعرِض عن القيام ببعض العبادات أحيانًا؛ مخافة أن تُفرَض عليهم، كما كان يُكثِر من الدعاء لأمّته بالخير والرّفق، والبُعد عن العذاب والهلاك، وقد ضحّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عيد الأضحى عن نفسه وعمن لم يُضحِّ من أمّته؛ رحمةً بالفقراء منهم.

رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجنوده وبالشّهداء

فيُعامل جُنوده كنفسه، ولا يُعاتبهم أو يُعاقبهم على أخطائهم في الحرب؛ ومن ذلك رحمته بالصحابة في غزوة أُحد، وعدم مُحاكمتهم لأخطائهم في مُخالفتهم لأوامره.

أمّا رحمته بالشُّهداء فقد تمثّلت في دفنهم دون إرسالهم إلى أهلهم؛ حتى لا يتألّموا عند رؤيتهم، وكان يأمر الأهل الذين يأخذون شهداءهم أن يردّوهم إلى أماكنهم حتّى يُدرك الناس فضلهم، ولتخفيف المُصاب والحزن على أهاليهم.

(١) رواه البخاري.

مظاهر رحمة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير المسلمين

تعـدّت رحمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير المُسـلمين أيضًا، فشـملت الكافرين والمُشركين وغيرهم، ومن ذلك ما يأتي:

رحمته بالأسرى:

كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بفكّ الأسير، وبيّن أنّ الرحمة بالأسير وفكّ أسره من أسـباب دُخول الجنة، وترجم ذلك عمليًّا في أسـرى بدر عندما استشـار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في شـأن الأسرى، فأخذ برأي أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذلك بأخذ الفدية منهم وتركهم؛ لِما رأى في ذلك من الرحمة والرأفة بهم، وراعى حال الأسـرى المادّية، فمـن لم يكن معه مال افتـداه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بتعليم بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ القراءة والكتابة، وبعضهم من أطلقَ سراحَه بلا فداء.

رحمته أثناء الحرب:

وضع النبيّ للمُسـلمين مجموعةً من القواعـد والضوابط في الجهاد التي لا يجـوز لأحـدٍ أن يتعدّاها؛ كالنهي عن التمثيل في جسـد الأعـداء، والنهي عن قتل النساء، والأطفال، وكبار السن، والمرضى.

وتجاوزت هذه الرحمة حتى الجماد؛ ونهى النبي عن قتل الحيوان، أو حرق الأشجار، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

بالإضافة إلى وفاء النبيّ بوعوده مع أعدائه، وعدم خيانتهم أو الغدر بهم، قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ** ﴾ [الأنفال: ٥٨].

رحمته بالكُفّار:

ومن ذلك لمّا جاءه ملك الجبال ليُطبق عليهم الجبال بعد أن ردّوه، وقاتلوه، وعذّبوه، فلم يرضَ النبيّ ذلك، وقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئًا**».

بالإضافة إلى دُخوله مكّة بعد أن فتحها مُتواضعًا، وعفوه عمّن آذاه من المشركين، وعمّن أخرجه وصحابته من ديارهم، وعدم الدُعاء عليهم، وحرصه على دُخولهم في الإسلام، فقد جاء عنه أنّه زار جارًا يهوديًّا له، وطلب منه الدُخول في الإسلام؛ فأسلم، وفرح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامه وإنقاذه من النار.

مظاهر رحمة الرسول بالحيوان

عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال واصفًا جملًا جاء للنبي: «**فإذا جَملٌ قدْ أتاهُ فجَرجرَ، وذَرِفَت عيناهُ [قالَ بَهْزٌ، وعفَّانُ: فلمَّا رَأى النَّبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَنَّ وذرِفَت عيناهُ] فمَسحَ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سراتَهُ وذِفراهُ، فسَكَنَ، فقال: مَن صاحبُ الجمَلِ؟ فجاءَ فتًى منَ الأنصارِ، فقالَ: هوَ لي يا**

رسولَ اللهِ، فقالَ: أما تتَّقي اللهَ في هذِهِ البَهيمةِ الَّتي ملَّكَكَها اللهُ، إنَّهُ شَكا إليَّ أنَّكَ تجيعُهُ وتدئبُهُ [أي: تُتْعِبه]». [والمقصود بـ(فَمسحَ ذِفْرَاهُ): أي المَوضِع الَّذي يَعْرَقُ من قَفا البَعِير عند أُذُنِه]، فمسحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأفة به، فسكت الجمل عن الحنين وأوقف الدمع»[1].

وكان الصحابة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فانطلق لحاجة، فرأى الصحابة حمرة -وهي نوع من الطير يشبه العصفور- فقاموا بأخذ صغارها، فأتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي ترتعش، فقال: «**من فجع هذه بولَدِها؟ رُدُّوا ولدَها إليها**»[2].

مظاهر رحمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجماد

جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «**كانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا علَى جُذُوعٍ مِن نَخْلٍ، فكانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا خَطَبَ يَقُومُ إلى جِذْعٍ منها، فَلَمَّا صُنِعَ له المِنْبَرُ وكانَ عليه، فَسَمِعْنَا لِذلكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حتَّى جَاءَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ**»[3]... أي: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخطب على جذع، فلما بُنِيَ المنبر صار يخطب عليه، حنَّ الجذع للنبي، فأتاه فمسح عليه.

---

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وإسناده صحيح.

(٢) رواه النووي في رياض الصالحين، عن عبد الله بن مسعود، صحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، عن جابر بن عبد الله.

إنسانية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترامه للأشياء

إن كتاب الله تعالى مليء بالمعاني الإنسانية المؤكّدة ضعف الإنسان والمُذكّرة له بالأصل المشترَك بينه وبين جميع البشر، وبمقتضى ذلك فهو مطالَبٌ بتمثّلِ إنسانيته في عبادته وتعامله.

هذه الصور الإنسانية جسّدها النّبي الكريم خيرَ تجسيد، واصطبغ فكرُه وسلوكُه بها، وتمثّلها واقعًا في حياته، وفي هذا قالت أمنا عائشة: «**كان خلقه القرآن**»، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرآنًا يمشي على الأرض.

من مظاهر إنسانية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توسطهِ في العبادة

فلم تكن عبادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالكثيرة الثقيلة ولا بالقليلة المخلة، بل كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يصوم ويفطر، وكان يصلي وينام وكان يتصدق ويُنفق على أهل بيته كما حكى ذلك أهل السير، وثمرة هذا الأمر هو الاعتراف بإنسانية الرسول، وأنه لا يجب أن يُحمِّلَ نفسَه ما لا يطيق، كما أن الخيرية في العبادة ليست مرهونةً لكثرة ولا لقلَّة، وإنّما هو إخلاص وصدق بحسب الطاقة والجهد.

وها هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغضب بعدما أخبرته أمُّنا عائشة بقدوم الشّباب الثلاثة الذين سألوا عن عبادته فتقالُّوها، فقال لهم: «**أما والله إني لأخشاكم لله**

وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

إنسانيته عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ
في التعامل مع أهل بيته

خيرُ شهادةٍ يحملها الإنسان عن نفسِه بحيث تكون صادقةً مُصَدَّقةً هي شهادة أهل بيته فيه، فها هي ذي أمّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «**كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخصف نعلَه ويخيط ثوبَه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته**»، وتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مناسبة أخرى بأنه عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ: «**ما ضرب أحدًا قط من أهل بيته، دعت إلى ذلك حاجة أم لم تدع**».

وكان عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ يقوم لابنته فاطمة ويجلسها في مجلسه، ويقبلها بأبوة حانية وإنسانية لطيفة، وبقلْبٍ مشبَعٍ باللطف والمحبة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكيف لا يكون صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك وهو القائل: «**خيرُكم خيركُم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[2].

---

(١) رواه أنس بسند صحيح.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أعدائه في جهاده وقتاله لهم

في الحرب وقتال الأعداء تتحكم في النفس مشاعرُ الغضب على العدو، والغلظة عليه، والانتقام منه، ومن ثم ففي الحروب ربما يُقتَل من لا يستحقّ القتل، أو يُقتَل بطريقةٍ لا تليق بالإنسان، فيها تعذيبٌ له، أو تمثيلٌ بجثته، ومن المعلوم والثابت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة أوصاه بتقوى الله، ونهاه عن قتل الصغار والنساء، أو الغدر بالأعداء، أو التمثيل بجثة من قُتِل منهم، وقال له: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا**»[1].

وقد وُجِدَت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستنكرًا قتلها: «**ما كانت هذه لتقاتل!**»[2].

وقد نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزواته وحروبه عن قتل النساء والصبيان.

وأوصى بالأسرى خيرًا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**استوصوا بالأُسَارَى خيرًا**»[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه الطبراني.

إنسانيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اختياره الأيسر

وتتجلَّى إنسانيته في اختياره الأيسر والأسهل ما لم يكن إثمًا.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**ما خُيِّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمرين إلا اختار أيسرَهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه في أمرٍ يُنتَهك منه، إلا أن تُنتهَك لله عَزَّوَجَلَّ حرمة، فينتقم لله عَزَّوَجَلَّ**»[1].

فرحه بالتوبة على أصحابه

فها هو وجهه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستنير مِن الفرح والسرور، عندما يتوب الله تعالى على الثلاثة المخلَّفين.

فرح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتوبةِ كعبِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرحًا شديدًا، حكاه كعب فقال: «**فلما سلَّمتُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبرُقُ وجهُه من السرور، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سُرَّ استنار وجهُه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه**»[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشيخان.

مشاعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الفراق والحزن

أما عن مشاعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الحزن، فقد كانت تدمع عيناه، ويبكي لفراق الأهل والأصحاب بكاءَ رحمةٍ ورفق، لا بكاء ضجر وتسخط.

لما مات ابنه إبراهيم دمعتْ عيناه، وبكى رحمةً له.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي سيفٍ القَيْنِ، فأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إبراهيمَ فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يجودُ بنفسه، فجعلتْ عينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأنت يا رسول الله؟!

فقال: يا بن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

من مظاهر إنسانيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
احترامه لممتلكاته وتسمية مقتنياته

والظاهر المتبادر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسمي ممتلكاته جريًا على عادة قومه في تمييز الممتلكات بأسماء يطلقونها.

(١) رواه مسلم.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في حديثه عن أنس بن مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ فَزَعٌ بِالْمَدِينَةِ فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَرَسًا لَنَا يُقَالُ لَهُ: مَنْدُوبٌ فَقَالَ: مَا رَأَيْنَا مِنْ فَزَعٍ وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا**»[1].

وفيه إباحة تسمية الدواب، وكان من عادة العرب تسمية الدواب، وأداة الحرب باسمٍ يُعرَف به إذا طلب سوى الاسم الجامع.

وكان سيف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمى ذا الفقار، ورايته العقاب، ودرعه ذات الفضول، وبغلته دلدل، وبعض أفراسه السَّكب، وبعضها البحر...

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: [قوله: (بَابُ اسْمِ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ) أي مشروعيَّة تسميتهما، وكذا غيرهما من الدّوابّ بأسماء تخصّها غير أسماء أجناسها].

وقد اعتنى من ألَّف في السّيرة النّبويّة بسرد أسماء ما ورد في الأخبار من خيله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك من دوابّه. انتهى[2].

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) فتح الباري، (٦/ ٥٨).

طبيعة البشرية النبوية

إن أساسَ الاعتقاد في الإسلام قام على حقيقة أن أنبياءَ الله ورسلَه بشرٌ؛ يعتريهم ما يعتري الطبيعة البشرية من قوة وضعف وصحة ومرض، يأكلون ممّا يأكل الناس منه ويشربون ممّا يشربون، ويعتريهم كلّ ما يعتري البشر.

وقد كان هذا مثارَ استغراب غير المؤمنين، لأنهم يحسبون أنه ما دام الله قد اصطفى أحدًا ليكون رسولًا فلا بد أن يكون أعلى من البشر بأن يكون ملكًا، وعلى الأقل يتنزل معه ملك.

يقول تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٧].

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨-٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا** ﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥].

أي لو كان المرسَل إليهم ملائكةً لنزّلنا إليهم ملكًا رسولًا، ولكنهم ما داموا بشرًا فإن الحكمةَ والملاءمة تقتضي أن يُبعَث إليهم بشرٌ مثلهم، وأوحى الله إلى نبيّه أن يقول لهؤلاء الذين يتوقعون أن يرسل الله إليهم من يكون مختلفًا عن البشر: ﴿ **قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا** ﴾ [الإسراء: ٩٣].

فالنبي بشر مكمّل بكلّ الكمالات الإنسانية.

قال الإمام البوصيري:

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ وأنه خير خلق الله كلهمِ

ومن طرق التعرف على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **دراسة العلوم النبوية الشريفة.**

أولًا: علم الشمائل النبوية

والشمائل فنٌّ يشتمل على صفاته السَّنِية، ونعوته البهيَّة، وأخلاقه الزكية، التي هي وسيلةٌ إلى امتلاء القلب بتعظيمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك سببٌ لاتباع هديه وسنته، ووسيلةٌ إلى تعظيم شرعه وملته، وتعظيمُ الشريعة واحترامُها وسيلةٌ إلى العمل بها والوقوف عند حدودها، والعملُ بها وسيلةٌ إلى السعادةِ الأبدية، والفوزِ برضا رب العالمين.

وإذا كان من تمام الإيمان أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إلى الناس من نفوسهم التي بين جنوبهم، فقد ملأ حبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شغاف قلوب المؤمنين، مما جعلهم يسيرون على هداه مترسمين خطاه، يصفون شمائله وأحواله، ويسجلون خلجات ذاته، وملامح صفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لقد حفظ لنا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين صورًا كاملةً شاملةً تامةَ المبنى والمعنى، جامعةً لكل لمحةٍ وخلجةٍ، وحركةٍ، وإشارة لسيدنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من مولده الشريف إلى اختياره إلى الرفيق الأعلى.

ويمكن حصرها في عشرة مواضيع:

١. نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسماؤه وكنيته، وفضائله..

٢. صفاته الخلْقية.

٣. أخلاقه: مثل صدقِه، وأمانتِه، وعدلِه، وعفوِه، ورحمتِه، وصبرِه، وزهدِه، وتواضعِه وحلمِه، وجُودِه وكرمِه، ووفائِه، وحيائِه وعفتِه، وذوقِه، ووقارِه، وإيثارِه، وضحكِه وتبسمِه، وغضبِه، وأناتِه وهدوئِه، ومزاحِه، وملاطفتِه، وحبِّه لأصحابه وأمته وحزنِه وبكائِه على ما يصيبهم من المكاره، وتكريمِه للرجال والنساء، وتفاؤلِه، واجتنابِه للريب، ومواطنِ الشبهات، وحزمِه، وحبِّه لبعض الأماكن والبقاع.

٤. حسنُ تصرفه، ووفور عقله، وفصاحته.

٥. هيئاته وعاداته كنظافة جسمه وطيب ريحه، وطعامه، وشرابه، والأطعمة والأشربة التي كان يتناولها، وآدابه فيهما، ولباسه، وزينته، وأثاث بيته، ونومه، ومجلسه وجلوسه، وعاداته في بيته مع أهله، عواداته في الترويح عن نفسه وأهله وأصحابه، وخدمه ومواليه، وركائبه.

٦. خصوصياته وبركاته.

٧. علومه ومعارفه، وسعة عقله.

٨. حقوقه.

٩. عبوديته لربه، وعباداته، وأدعيته، صلاته وصيامه، وحجه.

١٠. معاملته للكفار ودعوته لهم، وجهادهم. ولهذا كانت الشمائل النبوية، من أهم علوم السيرة النبوية، لأنها تهتم بأوصاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَلقية والخُلقية، وهديه في سائر الأمور الحياتية، فهي تهتم بجوانبَ نادرة في سيرته؛ قد لا نجدها في كتب المغازي والسير. وهي التطبيق العملي للإسلام من خلال الأُسوة الحسنة، لقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

أهمية دراسة الشمائل، وأهم فوائدها:

١. من خلال الاطلاع على شمائله المجيدة، وخصاله الحميدة ندرك أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقًّا وصدقًا، فهذه الأخلاق العالية لا يمكن أن يتصف بها إلا نبي، فهي من دلائل نبوته، وقد استدل العلماء بأخلاقه العالية الرفيعة على نبوته، ومنهم الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أثنى الله تعالى عليه بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

٢. هي سببٌ من أسباب محبته، لأن حبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث من كن فيه وجدَ حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما».[1]

٣. إن معرفةَ شمائله تملأ القلب بحبّه وتعظيمه، وسببٌ في اتّباعه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤. وهي سببٌ في زيادة الإيمان.

٥. نتعرف من شمائله على سلوكه في جميع مجالات الحياة.

وهناك كتب أفردت لها، وأهمّها:

(١) (الشمائل النبوية)، للإمام الترمذي، وهو أشهر كتاب أُلِّف في الشمائل، جمع فيه (٣٩٧) حديثًا، جعلها في (٥٦) بابًا، وقد شرحه عدد من العلماء.

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض [ت: ٥٤٤هـ].

(٣) (الوفاء بأحوال المصطفى) للإمام ابن الجوزي [ت: ٥٩٧هـ].

(٤) (سيدنا محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خصاله الحميدة وشمائله المجيدة) للأستاذ عبد الله سراج الدين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) (موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة)، لعدد من الأساتذة المعاصرين، واشتملت على (٣٦٤٤) حديثًا.

---

(١) رواه البخاري.

ثانيا: علم الخصائص النبوية

ما تعريف الخصائص؟

(خواصّ) جمع (خاصة)، أما (خصائص) فهي جمع (خصيصة)، وقد وردت في كلام الجاحظ والزمخشري، وسمى ابن جني أحد كتبه (الخصائص).

يُعرِّف العلماء الخصائص بأنها الأمور التي اختصَّ بها النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن غيره من الأنبياء والأمة، وقد يشترك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه في شيءٍ قليلٍ من تلك الخصائص، لكنها في مجموعها لم تكنْ لأحدٍ سوى سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والخصائص نوعان:

١- ما اختص به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهذا لا يشاركه فيه أحد.

٢- ما اختص به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأمة، وهذا قد يشاركه فيه أو في بعضه الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وتشمل هذه الخصائص كل ما يتعلق بذاته الشريفة في الدنيا والآخرة من الواجبات، والمباحات، والمحرمات، والفضائل والكرامات، وما اختص به في أمته في الدنيا والآخرة أيضًا من الفضائل والكرامات والدرجات والخصوصيات.

هذه الخصائص في مجموعها مادةٌ عظيمة من موسوعة علم السيرة النبوية؛ فهي إحدى علومها المختلفة التي لا يُستغنى عنها عند تدريس السيرة النبوية.

ومن أشهر الكتب التي صنفت في علم الخصائص النبوية كتاب (الخصائص الكبرى) للإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

اسم الكتاب الأصلي (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب)، ولكنه مشهور بالخصائص الكبرى؛ وهو يشتمل على الأمور التي اختص بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره، والإتيان بالأدلة الصحيحة، ورد النصوص الموضوعة، ومن أهم المواضيع أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، والكلام عن معجزاتهِ الباهرة.

ثالثًا: علم السيرة النبوية، وأهمية دراستها ومعرفتها

لدراسة السيرة النبوية أهميةٌ عظيمةٌ في مسيرة الحياة البشرية، فإذا كان العظماء والقادة دائمًا يحرصون على كتابة مذكراتهم وسيرهم الذاتية؛ حتى يتلمسَ الناس في تلك السيرة مواطن الاقتداء والاستفادة، إذا كان الأمر كذلك فإن سيرة النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أولى السير بالدراسة.

وتكمن أهمية دراسة السيرة النبوية في النقاط الأساسية الآتية:

١ - التثبت والتوثق من سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعد رسمًا لطريقه التي سلكها، وقد أمرنا الله تعالى باتباع هديه، فكان لا بد من توثيق وإثبات كلّ ما يُنسَب إلى سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن ذلك أصلٌ من أصول الدين.

لذلك امتلأ القرآن الكريم بذكر سير الأنبياء السابقين، وقد ذكر الله تعالى الحكمة من ذلك في كثير من الآيات. من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [هود: ١٢٠] بعد أن ذكر الله تعالى تسعة عشر رسولًا في آيات متتالية في سورة الأنعام، أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاقتداء بهديهم فقال: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ** ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢ - معرفة تفاصيل سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يمكن الاقتداء به في جميع شؤون الحياة، حيث كانت سيرته تطبيقًا عمليًّا لأحكام الإسلام وشريعته، حتى لا يظن ظان أن هذه الأحكام غير قابلة للتطبيق. وقد قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: «كان خلقه القرآن».

٣- إن تقديم السيرة النبوية الموثّقة بأسانيدها المتصلة إلى مصادرها الأصلية المتضافرة، والتي تبين كلّ ما يتعلّق بحياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجميع تفاصيلها

سواء كان في شؤونه الخاصة أو العامة، مهما بلغت تلك التفاصيل من خصوصية، وسرد الحوادث التاريخية التي صاحبت- تلك الحقبة مع وجود الآثار المادّية التي تؤكد البحوث العلمية صحتها ومطابقتها للمذكور في الحوادث التاريخية كل ذلك يدعم صدقَ نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لأنه مهما بلغ المرء من عظمة فإن من العسير أن تتوافر له الظروف التي تمكن من متابعة جميع مسيرة حياته حتى من قبل ولادته إلى وفاته.

فإذا تمَّ ذلك لشخص، وتضافرت المصادر المتعددة على رصد وتسجيل مسيرة حياته، دون أن تختلف تلك المصادر على شيء ذي بال، إلا في أمورٍ يسيرة تحتمل التأويل اليسير؛ دل ذلك على أن هذا ليس أمرًا طبيعيًّا، بل هو أمرٌ خارق للمعتاد؛ مما يؤكد رعاية الله له تصديقًا لنبوءته.

٤- معرفة عظمة الإسلام وقوته، عندما ندرك أن هذا الدين قد أرسى قواعده وأحكامه، وقلب موازين القوى السياسية والاجتماعية والثقافية لأجزاء كبيرة من الكرة الأرضية، ثم قدم نموذجًا حضاريًّا قويًّا؛ ظل عطاؤه مستمرًا حتى يومنا هذا.

وتظهر لنا هذه العظمة جليةً إن علمنا أن هذا البناء الضخم قد تم تشيده في فترةٍ وجيزة هي مدة حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الرسالة التي لم تجاوز ثلاثةً وعشرين سنة فقط.

رابعًا: علم الدلائل النبوية

يُعرِّف العلماء الدلائلَ النبوية بأنها الحجج البالغة القاطعة، والبراهين الواضحة الساطعة، الدالة على صدق وصحة نبوة سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى شمول وعموم رسالته، بدلالاتٍ واضحة لا جدال فيها.

وهي أيضًا المعجزات الدالة على صدقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المبيّنة لفضله، النافية لشكّ المرتابين، المطمئنة لقلوب المؤمنين، الفاضحة لقلوب المنافقين، القاهرة للكافرين وفيها الأدلة على معجزاته وظهور آياته، والرّدّ على من أنكر ذلك.

وموضوع علم الدلائل واسعُ المعنى والمضمون، يندرج تحته جُلّ علوم السيرة النبوية، كالشمائل، والخصائص، والمعجزات المعنوية والمادية، وجميع أبواب المغازي، وكل ما ورد عنه في القرآن الكريم، مما يثبت بالنّصّ الواضح القاطع نبوته، ورسالته.

بل قِيل: إن القرآن الكريم بإعجازه، وبيانه، وفصاحته، وقصصه، وأخباره عن الأنبياء، وأقوامهم، وما ذكر عن الجنة، والنار، والبعث والحساب، وعن مشاهداته في الإسراء والمعراج، هو كلّه من دلائل نبوته بالنصوص القطعية التي لا يأتيها الباطل، ولا الشّكّ تصديقًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

بل عـدَّ بعضهم صفاته الخَلقية والخُلقية الظاهرة والباطنة وجميع شـمائله هي بابَ الدلائل على نبوته، لأن جميع الصفات الإنسـانية جاءت فيه على الوجه الأكمـل والمثـال الأجمل، ولهـذا فقد عدَّها بعضهـم؛ وبخاصة الإمـام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [ت: ٤٥٨هـ] في موسوعته العظيمة: (دلائل النبوة).

وكتـب الدلائـل هي أشـمل وأعظم كتب السـيرة، لما تضمنته مـن أخبار، ومرويـات، وقصـص، وحـوادث، ومعجـزات، وخصائص، وطبائـع، وصفات خَلقية وخُلقية.

بل إنَّ ما يتعلق به من بشارات، وإرهاصات، ومقدمات وكل ما يتعلق بقومه، وعشـيرته، وحسبه، ونسبه، واصطفاء الله تعالى له، وفضله في الدنيا والآخرة، وما أعطاه الله فيهما لنفسـه ولأمته، هي كلّهـا دلائلُ واضحةٌ على صدق نبوته وعموم رسالته المؤيدة بالمعجزات الحسية والمعنوية.

خصائصه الشريفة التي اختصه اللّٰه تعالى بها

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بجوازِ الوِصالِ في الصَّومِ

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تواصلوا. قالوا: إنّك تُواصل. قال: لستُ كأحدٍ منكم، إني أُطعَم وأُسقى... أو إني أبيت أُطعَم وأُسقَى**»[1].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستُدل بمجموع هذه الأحاديث على أن الوصال من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أن غيره ممنوعٌ منه؛ إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السَّحر»[2].

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بالجمعِ بين أكثرَ من أربعِ نِسوةٍ

فعن أنس بن مالك قال: «**كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدورُ على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهُنَّ إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أوكان يُطيقه؟ قال: كنّا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين. وقال سعيدٌ عن قتادة: إنَّ أنسًا حدّثهم: تسعُ نسوة**»[3].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) فتح الباري.
(٣) رواه البخاري.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دلَّت سنةُ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبينة عن الله أنَّه لا يجوزُ لأحدٍ غير رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجمعَ بين أكثر من أربع نسوة». قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الذي قاله الشافعيُّ مجمعٌ عليه بين العلماءِ»[1].

اختصاصُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بأنَّ عينَهُ تنامُ ولا ينامُ قَلبُهُ

عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن أنه «سأل عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**كيف كانت صلاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يُصلِّي أربعَ ركعات فلا تسألْ عن حُسنهن وطولهن. ثم يُصلِّي ثلاثًا. فقلتُ: يا رسولَ الله تنامُ قبل أن تُوتِر؟ قال: تنامُ عيني ولا ينام قلبي**»»[2].

وفي رواية أنس بن مالك: «**والنَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائمةٌ عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياءُ تنام أعينُهم ولا تنام قلوبُهم**»»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامِ قرينِهِ

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُهُ من الجِنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: وإيَّاي إلا أنَّ الله قد أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخيرٍ**»[1].

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بأنَّ الشَّيطانَ لا يتمثَّلُ به،
وأنَّ مَنْ رآهُ في المنامِ فقدْ رآهُ حَقًّا

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رآني في المنامِ فقد رآني، فإنَّ الشَّيطانَ لا يتمثَّلُ بي، ورُؤيا المؤمنِ جُزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جُزءًا من النُّبوَّةِ**»[2].

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بأنَّهُ يَرَى مِنْ وراءِ ظَهْرِهِ كما يَرَى مِنْ أَمَامِهِ

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**أُقيمتِ الصَّلاةُ، فأقبلَ علينا رسولُ اللهِ بوجهِهِ، فقالَ: أقيمُوا صفوفَكم وتراصوا، فإنِّي أراكُمْ مِنْ وراءِ ظهري**»[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

وعن أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**صلَّى بنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا ثمّ انصرفَ، فقالَ: يا فلانُ، ألا تُحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلِّي إذا صلَّى كيفَ يُصلِّي، فإنما يُصلِّي لنفسه، إني والله لأبصرُ مِن ورائي، كما أبصر من بين يديَ**»[1].

وعن أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ رُكوعُكم ولا سجودُكم؛ إني لأراكم مِنْ وراءِ ظهري**».

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بأنَّهُ يسمعُ ما لا يسمعُهُ النَّاسُ

عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمعُ ما لا تسمعون. إنَّ السَّماءَ أطَّت وحقَّ لها أنْ تئطَّ؛ ما فيها موضعُ أربع أصابع إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَهُ ساجِدًا لله. والله لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتُمْ قليلًا، ولبكيتُم كثيرًا. وما تلذذتم بالنِّساءِ على الفُرُشات، ولخرجتُم إلى الصعدات تجأرون إلى اللهِ**»[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه الترمذي بإسناد حسن.

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بتخييرِهِ قبلَ قبضِهِ بينَ الدُّنيا والآخرةِ

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**ما من نبيٍّ يمرضُ إلا خُيِّر بين الدُّنيا والآخرة**»، وكان في شكواه الذي قُبِض فيه أخذته بُحَّةٌ شديدةٌ، فسمعتُهُ يقول: «**مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين**»، فعلمتُ أنه خُيِّر»[1].

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بأنَّ الأرضَ لا تأكلُ جسدَهُ الشَّريفَ،
وعرضُ صلاةِ أمتِهِ عليه في قبرِهِ

عن أوس بن أوس عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنّ أفضلَ أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خُلِقَ آدمُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفخةُ، وفيه الصَّعقةُ، فأكثِروا عليَّ من الصَّلاةِ، فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسولَ الله، وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليكَ، وقد أَرِمتَ؟ [أي: قد بَلِيتَ]. قال: «إنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **قد حرَّم على الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»»[2].

---

(١) البُخاريُّ، كتاب التفسير، باب: ﴿ **فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾.

(٢) رواه النَّسائيُّ: باب: إكثار الصَّلاةِ على الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة، وقالَ الإمامُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صححه بعضُ الأئمةِ» - الفصول في سيرة الرَّسُول.

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بطيبِ عَرَقِهِ، ولِينِ مَسِّـهِ

عـن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «**دخل علينا النَّبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ [أي: نام القيلولـة] عندنا، فعرقَ، وجـاءت أُمِّي بقارورةٍ، فجعلتْ تسـلتُ العَرَقَ فيها، فاستيقظَ النَّبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقالَ: يا أُمَّ سُليم، ما هذا الذي تصنعينَ؟! قالت: هذا عَرقُك نجعلُهُ في طيبنا، وهو أطيبُ الطِّيبِ**»[1].

وعن أنسٍ، قال: «**كان رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أزهرَ اللَّونِ، كأنَّ عَرَقَهُ اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأَ، ولا مسستُ ديباجةً ولا حريرةً ألينَ مِن كفِّ رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولا شممتُ مِسْكةً ولا عَنْبرةً أطيبَ من رائحةِ رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: طيب عرق النَّبيِّ.

(٢) صحيح مسـلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة الرَّسُـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولين مسـه، والتبرك بمسحه.

أهمية التعرف على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: [هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح، فيقولون: الخير أحب إليك أم الشر؟ أي قد أخبرت الشر فتجنبه، وقد عرفوا رسولهم وأنه من أهل الصدق والأمانة؛ ففي اتباعه النجاة والخير لولا العنت. قال سفيان: بلى! قد عرفوه ولكنهم حسدوه].

ومن طرق التعرف على حضرة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيارة قبره الشريف في المدينة المنورة...

فضائل المدينة المنورة:

هِيَ طَيْبَةُ الطَيِّبَة، وَمَأْرِزُ الدِّينِ حَيْثُ يَنْجَمِعُ إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ غُربَتِه. آوَتْ رَسُولَ اللهِ نَبِيًّا، وَضَمَّتْ جَسَدَهُ الشَّرِيفَ مَيِّتًا، وَسَمَتْ بِكَونِهَا مَسْكَنَ جِيرانه...

كثرة أسمائها وصفاتها:

لِعَظِيمِ شَأْنِ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ كَثُرَتْ أَسْمَاؤُهَا وَصِفَاتُهَا؛ وَمِنْهَا: الْمَدِينَةُ، وَطَيْبَةُ، وَطَابَةُ، وَالدِّرعُ الْحَصِينَة، وَأَرْضُ الْهِجْرَة، وَالدَّارُ، وَدَارُ الإِيمَان، وَدَارُ الْهِجْرَة، وَدَارُ السُّنَّة، وَدَارُ السَّلَامَة، وَقُبَّةُ الإِسْلَام.

المدينة حرم:

جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَجَعَلَ الْمَدِينَةَ حَرَمًا بِدَعْوَةِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا جَعَلَ مَكَّةَ حَرَمًا بِدَعْوَةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمٌ، وَحَرَمِي الْمَدِينَة، اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُهَا بِحُرَمِك؛ أَنْ لَا يُؤْوَى فِيهَا مُحْدِث، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَوْكُهَا وَلَا تُؤْخَذُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِد**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا؛ أَنْ لَا يُهْرَقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَال، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلف**».

وَعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَهْوَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**إِنَّهَا حَرَمٌ آمِن**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَن النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَهَى أَنْ يُعضَدَ شَجَرُهَا، أو يُخْبَطَ شَوكُهَا، أو يُؤْخَذَ طَيْرُهَا**».

حراسة المدينة بالملائكة:

وَمِنْ فَضَائِلِ المَدِينَةِ: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جَعَلَهَا دِرعًا حَصِينَة، مَحْرُوسَةً بِالْمَلَائِكَة؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا**»[1].

(١) رواه مسلم... [وَالنِّقَابُ: الطُّرُقُ وَالْمَدَاخِل].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو، مَا لَهَا طَرِيقٌ ضَيِّقٌ وَلَا وَاسِعٌ؛ فِي سَهْلٍ وَلَا فِي جَبَلٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيْفِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].

وَإِذَا غَزَا جَيْشُ الشَّامِ الْحِجَازَ خَسَفَ اللهُ بِهِ فِي بَيْدَاءِ الْمَدِينَةِ شَرقَ ذِي الْحُلَيْفَة.

انجماع الإيمان إليها:

خَصَّ اللهُ المَدِينَةَ بِجَعْلِهَا الْبَلَدَ الَّتِي يَنْجَمِعُ إِلَيْهَا الإِيمَانُ إِذَا ضَعُفَ فِي نُفُوسِ أَهْلِهِ، وَدَخَلَ فِي غُربَتِه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»[2].

فضل أهل المدينة والسكنى فيها:

أَمَّا أَهْلُ المَدِينَةِ: فَلَهُمْ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلَام، فَهُمْ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنُوا بِهِ، وَآوَوْهُ وَنَصَرُوه، وَجَاهَدُوا -مَعَهُ وَبَعْدَهُ- بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم، وَاتَّبَعُوه؛ فَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَمَّاهُمُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، وَأَخْبَرَ أَنَّه سَيُدخِلُهُمُ الْجَنَّة، هُمْ وَمَنْ أَحَبَّهُم، وَتَرَضَّى عَلَيْهِم، وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَومِ الدِّين.

وَكُلُّ مَنْ سَكَنَ المَدِينَةَ وَأَصبَحَ مِنْ أَهْلِهَا، مُتَمَسِّكًا بِشَرْعِ اللهِ تَعَالَى، سَائِرًا عَلَى هَدْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ يَنَالُهُ مِنْ فَضْلِ خِيَارِ أَهْلِ المَدِينَةِ بِقَدرِ تَمَسُّكِهِ بِدِينِه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه الشيخان.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى حُبَّ الأَنْصَارِ آيَةَ الإِيمَانِ، وَبُغْضَهُمْ آيَةَ النِّفَاق...

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِن، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِق، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**»(١).

وَحَذَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّعَرُّضِ لأَهْلِ المَدِينَةِ بِأَذًى، حَتَّى أَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ هَمَّ بِإِيذَائِهِمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُعَرِّضًا نَفْسَهُ لانْتِقَامِ اللهِ مِنْه.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أو ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاء**»(٢).

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ الله، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»(٣).

وَحَثَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سُكْنَى الْمَدِينَة، وَعَدَمِ الانْتِقَالِ عَنْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ قَومًا سَيَرتَحِلُونَ عَنْهَا، يَبْحَثُونَ عَنِ الرَّخَاءِ الدُّنيَوِيِّ، فَقَال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَه: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاء، هَلُمَّ إِلَى**

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

الرَّخَـاء! وَالْمَدِينَةُ خَيْـرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون. وَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِه، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْه»[1].

وَأَخبرَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ يَشْـفَعُ لِمَنْ سَـكَنَهَا، وَصَبرَ عَلَى شِدَّتِهَا، وَمَاتَ فِيهَا، فَقَالَ: «**لَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أو شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَة**»[2].

وَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ اسْـتَطَاعَ أَنْ يَمُـوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْـفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا**»[3].

بركة المدينة والصحة فيها:

المَدِينَـةُ بَلَـدٌ مُبَارَكَة، بَـارَكَ اللهُ تَعَالَى فِي كُلِّ شَـيْءٍ فِيهَا، وَدَعَا رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَهَا بِالْبَرَكَة...

فَقَـالَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيـمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا، وَإِنِّـي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّة، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ**»[4].

وَقَـالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ بَـارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثِمَارِنَـا وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَة**».

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه مسلم.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْن**».

فضل المسجد النبوي:

الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ هُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقوَى مِنْ أَوَّلِ يَوم.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٨].

وَلَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى؟ قَالَ: هو مسجدي هذا**».

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذَا الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ: أَنَّ الصَّلَاةَ فِيهِ مُضَاعَفَةٌ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ صَلَوَاتِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَومًا تُؤَدَّى فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَام.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسَاجِد، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَام**»[1].

وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ: أَنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرضِ يَتَرَدَّدُونَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكَلَّفِينَ بِتَبْلِيغِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ وَسَلَامَ كُلِّ مُسْلِمٍ يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا، وَرَسُولُ اللهِ

(١) رواه البخاري.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ فِي حَيَاةٍ بَرْزَخِيَّةٍ لَا نَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا، يَرُدُّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ رُوحَهُ الشَّرِيفَةَ بِكَيْفِيَّةٍ لَا نَعْلَمُهَا، لِيَرُدَّ السَّلَام.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْت**»[1].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ**». وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الأَرضِ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَام**».

وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ: أَنَّ الرِّحَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ تُشَدَّ بِنِيَّةِ عِبَادَةٍ وَقُربَةٍ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ وَمِنْهَا: الْمَسْجِدُ النَّبَوِيّ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِه وَتَشْرِيفًا لِقَدرِه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَام، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[2].

لطيفة:

قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ نَذَرَ صَلَاةً فِي مَسْجِدٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِرِحْلَةٍ وَرَاحِلَة، فَلَا يَفْعَل، وَيُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، إِلَّا فِي الثَّلَاثَةِ الْمَسَاجِدِ الْمَذْكُورَة، فَإِنَّهُ مَنْ نَذَرَ الصَّلَاةَ فِيهَا خَرَجَ إِلَيْهَا». انتهى.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

تفسير حديث:
«لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ»

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ومسْجِدِ الأَقْصَى**»، فخاص بالمساجد؛ فلا تُشَد الرحال إلا لثلاثة منها، بدليل جواز شد الرحال لطلب العلم وللتجارة.

وقد اتفق العلماء في هذا الفهم، وننقل قول الشيخ سليمان بن منصور المشهور بالجمل: [لا تُشَدُّ الرِّحَالُ، أي للصلاة فيها؛ فلا ينافي شد الرحال لغيرها... إلى أن قال: قَال النووي: ومعناه: لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غير هذه الثلاثة، ونقله عن جمهور العلماء] اهـ.

وقال العراقي: من أحسن محامل الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط؛ فإنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة، وأما قصد غير المساجد: من الرحلة لطلب العلم، وزيارة الصالحين والإخوان، والتجارة، والتنزه، ونحو ذلك، فليس داخلًا فيه، وقد ورد ذلك مصرَّحًا به في رواية الإمام أحمد وابن أبي شيبة بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ، غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا**»، وفي رواية: «**لا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحالها... إلخ**».

قال العلامة السبكي:

[وليس في الأرض بقعةٌ فيها فضل لذاتها حتى تُشَد الرحال إليها لذلك الفضل غير البلاد الثلاثة، قال: ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتَّب عليه حكمًا شرعيًّا، وأما غيرها من البلاد فلا تُشدُّ إليها لذاتها، بل لزيارة أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات، وقد التبس ذلك على بعضهم؛ فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة كسيدي أحمد البدوي ونحوه داخل في المنع، وهو خطأ؛ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة، وشد الرحال لزيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل لمن في المكان، فليُفهَم] اهـ[1].

وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ: أَنَّ مُعَلِّمَ الْعِلْمِ وَطَالِبَهُ فِيهِ يَنَالَانِ أَجْرَ الْمُجَاهِدِ وَالْحَاجّ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يُعَلِّمُهُ أو يَتَعَلَّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَمَنْ جَاءَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ فِي مَتَاعِ غَيْرِه**»[2].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا، أو يُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجرِ حَاجٍّ تَامًّا حَجَّتُه**».

(١) (فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب) المعروف بـ(حاشية الجمل)، (٢/ ٣٦١).
(٢) رواه أحمد وابن ماجه.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتَصَّهُ بِبُقْعَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ الرَّوْضَةُ الشَّرِيفَةُ، وَحَدُّهَا مِنْ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْقًا إِلَى مِنْبَرِهِ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ عَلَيْهِ غَرْبًا، وَمِنَ الْحَاجِزِ النُّحَاسِي الَّذِي عَلَيْهِ أَرفُفُ الْمَصَاحِفِ جنُوبًا إِلَى نِهَايَةِ الأُسْطُوَانَاتِ الْبَيْضَاءِ شَمَالًا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**»... وَفِيهِ مِنْبَرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَكُون مَعَهُ فِي الجَنَّة... قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْبَرِي عَلَى حَوضِي**».

وَقَالَ: «**إِنَّ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنّة**».

وَقَدِ احترَقَ الْمِنْبَرُ فِي الْحَرِيقِ الَّذِي شَبَّ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَامَ ٦٥٤هـ.

وَالْمِنْبَرُ الْمَوْجُودُ الآنَ لَيْسَ مِنْبَرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ما حكم زيارة القبور عمومًا وزيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصًا؟ وهل يجوز شد الرحال بقصد زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبور الصالحين؟

الجواب عن هذا السؤال من شقين، الشق الأول: حكم زيارة قبور الصالحين من المسلمين وقبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشق الثاني: حكم السفر بقصد زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قبور الصالحين.

أولًا: حكم زيارة قبور المسلمين:

اتفقت أمة المسلمين كَافة على جواز زيارة القبور، واتفق العلماء جميعًا على أنها مستحبة للرجال، واستحبها الحنفية للنساء أيضًا، وذهب الجمهور إلى جوازها مع الكراهة لرقة قلوبهن وعدم قدرتهن على الصبر، ودليل استحبابها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكر الآخرة**»، وعند جمهور العلماء: لا كراهة لزيارة النساء لقبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يستحب لهن زيارته وقبور الأنبياء. وهذا الاستثناء مبني على عموم الأدلة على زيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروضته الشريفة من أعظم القُرُبات وآكد المستحبات، لِمَا ورد من الأحاديث النبوية الشريفة في استحباب ذلك، وجعل هذه الزيارة موجبة لشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزائريه، وقد صحَّح جميع الحفَّاظ الأحاديث الواردة في ذلك؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن جَاءَنِي زَائِرًا لَا تُعْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي، كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَن أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وعنه أيضًا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[2].

(١) أخرجه الطبراني في معجميه (الكبير) و(الأوسط).
(٢) أخرجه الدارقطني في (السنن).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**»[1].

وقد أجمعت الأمة الإسلامية على جواز زيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذهب جمهور العلماء المؤهلين للفتوى في مذاهبهم إلى أن زيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة مستحبة.

وذهب بعض المحققين إلى أنها سنة مؤكدة تقترب من الوجوب، وهي الفتوى عند قسمٍ من الحنفية، وذهب إليها الفقيه المالكي أبو عمران موسى بن عيسى بوجوبها.

واستدلوا في هذا بأدلة متعددة منها قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٤].

فهذه الآية مطلَقة لا دليلَ نصيًّا ولا عقليًّا يخصصها، ولا شيء يختص بها في حياة النبي الدنيا، ولذلك فهي باقية إلى آخر الزمان.

وعادة ما يكون معنى القرآن في عموم صيغته لا في خصوصية سبب نزوله، وكذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**»، وكذلك الحديث الذي يقول: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**».

(١) أخرجه الإمام البيهقي في (شعب الإيمان) و(السنن الكبرى)، والإمام الطبراني في (المعجم الأوسط).

السماع

تعريف مصطلح السماع

لغةً: هو حسنُ الأذن.

واصطلاحًا: هو قوة في الأذن تدرك بها الأصوات، وفي التنزيل: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: ٣٧].

ويُطلق السّمع على الأذن...

وقد يأتي بمعنى الإجابة كما في الحديث: «**سمع الله لمن حمده**» أي: أجاب حمدَه وتقبّله.

ومنها الدعاء المأثور: «**اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمَع**»؛ أي لا يُستجاب، ولا يُعتَدّ به، كأنه غير مسموع.

ومن أسماء الله الحسنى السميع.

وصفة السمع بالنسبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ هي صفةٌ وجودية أزلية قائمةٌ بذاته تعالى، تكشف لله المسموعات الموجودة، وهي ليست بأذن ولا جارحة تسمع كالمخلوقات، فالله تعالى منزّهٌ عن ذلك، إنه يسمع كلّ شيء في هذا الوجود...

إنه يسمع دبيب النّملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء.

معنى السماع وعلاقته بالوجد

سماع: مصطلح عربي الأصل، استعمله الصوفيون للدلالة على الإنشاد الديني، والذي يكون ضمن مجالسهم العلمية أو التعبدية.

طريقته: يتضمن السماع عادةً الدعاء والإنشاد الديني وترديد الأذكار واسم الله، (والالتفاف حول النّفس عند المولويّة).

الوجد: وللناس كلامٌ طويل في حقيقة الوجد؛ أعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح، فلننقل من أقوالهم ألفاظًا، ثم لنكشف عن الحقيقة فيه.

قال أبو الحسين الدراج مخبرًا عما وجده في السماع: [الوجد، عبارة عما يوجد عند السماع]. وقال: [جال بي السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء، فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجني إلى رياض التنزه والفضاء].

ما حكم سماع المديح النبوي؟

مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنةٌ ثابتة منقولة بالتواتر، وهو قربة من أعظم القربات؛ أخذها الخلف عن السلف من غير نكير.

وما زالت المدائح النبوية تُحَبِّبُ الناس في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبر العصور، وتُرَغِّبُهُم في اتّباعِ سنته والاقتداء بشمائله الشريفة وسجاياه الكريمة، وبها تَتَنَوَّر القلوب وتنشرح الصدور وتزكو النفوس.

وقد صحَّت الأحاديث بأنه لا أحدَ أحبَّ إليه المدح من الله تعالى، وفي حديث الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلت: «**يا رسول الله مدحت الله تعالى بمدحة، ومدحتك بمدحة. قال: هَاتِ وَابْدَأْ بِمِدْحَةِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[1].

ولم يزَلِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعجبه الشِّعر ويُمدَح به فيُثيب عليه.

وقد سَمِعَ مدحَهُ بأُذُنِه من حسّان بن ثابت، وعمه العباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ولم ينكرْ منه شيئًا.

وتغنَّى المتغنُّون بين يديه بمديحه فُرَادَى كالثابت عن ابن رواحة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحداء، والثابت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حكمها بأحقيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جاء من المدح في بعض شعر الشاعرين.. إلخ.

كما تغنَّى المتغنُّون بين يديه بمديحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعات كما حدث في استقبال الأنصار له، ولم يُحْفَظْ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنكارٌ لهذا أو نسخٌ له.

وكان يحبّ الصوت الحسن، فقال لعبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رأى الأذان في منامه:

«**قُمْ مَعَ بِلالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ**»[2].

---

(١) رواه أحمد واللفظ له والنسائي والطبراني والحاكم وغيرهم.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم.

ولما أراد مؤذنًا له في مكة اختار أبا محذورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه حسن الصوت، وكان ينصب لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منبرًا في المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار[1].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِحَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَحَظَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ الله، أَسَمِعْتَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَجِبْ عَنِّي، اللهمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**». قَالَ: اللهمَّ نَعَمْ». وبوَّب عليه الإمام النسائي.

(باب الرخصة في إنشاد الشعر الحسن في المسجد):

وفي صحيح مسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ الله وَرَسُولِهِ**».

قال الإمام النووي[2]: [فيه جواز إنشاد الشعر في المسجد إذا كان مباحًا، واستحبابه إذا كان في ممادح الإسلام وأهله، أو في هجاء الكفار والتحريض على قتالهم أو تحقيرهم، ونحو ذلك] اهـ.

وعلى ذلك: فمدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والترخيص فيه سنةٌ ثابتةٌ منقولة بالتواتر، أخذها الخلف عن السّلف من غير نكير، وذلك في إطار الحدّ الذي حدَّدَه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند (البخاري)

(١) أخرجه الترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) (شرح مسلم) (١٦/ ٤٥، ط. دار إحياء التراث العربي).

وغيره: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**». أي: في اتخاذهم إياه ولدًا للّه أو إلهًا معه.

فالرب ربٌّ، والعبد عبدٌ، وهناك فارق بين المخلوق والخالق، فإذا ما عرف المسلم ذلك فليمدح بعد ذلك كما يشاء، وليعلَمْ أن كلَّ غُلُوّ في غيره فهو في حقه تقصيرٌ؛ فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحيط بصفاته وشمائله إلا الذي خلقَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يبالغ المادحون في مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا على قدرِ ما يفهمونه من ذلك لا على قدرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما قال الأول:

أَرى كلَّ مَدْحٍ في النبي مُقَصِّرًا ... وإن بالغ المُثني عليه فأكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أَهْلُه ... عليه فما مقدار ما تمدحُ الورى

وكما قال الإمام البوصيري صاحب البردة الشريفة:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

وانسُب إلى ذاته ما شئتَ من شرف ... وانسُب إلى قدره ما شئت من عِظَم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعرب عنه ناطق بِفَمِ

وما زالت المدائح النبوية تُحَبِّبُ الناس في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبر العصور، وتُرَغِّبُهُم في اتباعِ سنته والاقتداء بشمائله الشريفة وسجاياه الكريمة، وبها تَتَنَوَّر القلوب وتنشرح الصدور وتزكو النفوس، وهذه السنة من السنن المهجورة عند كثير من المسلمين.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم. انتهى[1].

---

(١) فتوى رقم: ٧٣٥٣، دار الإفتاء المصرية.

محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

معنى المحبة وآثارها وارتباطها بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تعريف المَحَبَّةِ لُغةً:

المَحَبَّـةُ: الحُـبُّ، وهو نقيضُ البُغضِ. وأصلُ هذه المـادَّةِ يَدُلُّ على اللُّزومِ والثَّبـاتِ، واشـتقاقُه من أحبَّـه: إذا لَزِمه، تقولُ: أحبَبتُ الشَّـيءَ فأنـا مُحِبٌّ، وهو مُحَبٌّ.

المَحَبَّةُ اصطلاحًا:

المَحَبَّةُ: الميلُ إلى الشَّيءِ السَّارِّ.

وقال الرَّاغِب: **المَحَبَّةُ**: مَيلُ النَّفسِ إلى ما تراه وتظُنُّه خيرًا.

قسَّـمَ العرب في الجاهلية الحبَّ إلى أقسـامٍ وأعطوا المحبة أعلى درجاتها. ومن هذه الأقسـام: المحبة، الهوى، المودة، الصبابة، العشق، الهيام والتتيم. مما وصلنا من المحبة التي لا تتناول الشـهوة ما يسمى بالحب العذري والذي يُنسَب إلـى قبيلة (عُـذرة) بالقرب مـن المدينة المنـورة، وارتبط بالغـزل العفيف الذي امتـدح فيه الشـعراء أخلاق المحبوبة وجمال روحِها وحسـبها ونسـبها، دون أن يتطرقـوا إلى وصفٍ أو مدح يخدش حياءها، فكانوا يمتلكون رقة القلب وصدق المشاعر.

وهناك العديد من الأشعار الجاهلية التي تصف المحبة بين أشخاص خالية من الشهوات، مثل قول الصحابي الشاعر حسان بن ثابت واصفًا حبَّه للرسول بقوله:

يا ركن معتمد وعصمة لائذ ... وملاذ منتجع وجار مجاور

يا من تخيره الإله لخلقه ... حباه بالخلق الزكي الطاهر

المحبة في الإسلام:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

فقال تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهم: إني رسول الله، أدعوكم إليه فإن كنتم تحبونه فاتبعوني على دينه، وامتثلوا أمري يحببكم الله ويرضى عنكم. والمحبة ميلُ النفس إلى الشيء لكمالٍ أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كلَّ ما يراه كمالًا من نفسه أو غيره فهو من الله، وبالله وإلى الله، لم يكنْ حبّه إلا لله وفي الله؛ وذلك يقتضي إرادة طاعته، والرغبة فيما يقربه إليه؛ فلذلك فُسِّرَت المحبة بإرادة الطاعة، وجُعِلَت مستلزمةً لاتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طاعته والحرص على مطاوعته ﴿ **وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ أي: يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرطَ منكم، فيقربكم من جنات عزه ويبوئكم في جوار قدسه. عبّرَ عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة، ودلت الآية على شرف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه جعل متابعته متابعةَ

حبيبه، وقارن طاعته بطاعته؛ فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذّابٌ بنصِّ كتاب الله تعالى.

وإنما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذبًا في دعواه؛ لأن من أحبَّ آخرَ يحب خواصَّه والمتصلين به.

قال الإمام القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قطع الله أطماع الكل أن يسلم لأحدهم نفسّه إلا مقتداهم سيد الأولين والآخرين].

وقال القاشاني: [محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولًا وعملًا وخلقًا وحالًا وسيرةً وعقيدةً، ولا تتمشى دعوى المحبة إلا بهذا، فإنه قطب المحبة ومظهرها وطريقته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحبة، فمن لم يكن له من طريقته نصيبٌ لم يكن له من المحبة نصيب، وإذا تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه وسرّه وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة، فليقي الله محبته عليه ويسري من روح النبي نور تلك المحبة أيضًا إلى قلبه أسرع ما يكون؛ إذ لولا محبة الله لم يكن محبًّا له].

وروى البخاري: عن عبد الله بن هشام أنه كان مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو آخذ بيد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال عمر: «**يا رسو ل الله أنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، فقال عمر: فإنه الآن والله أنت أحبُّ إلى من نفسي، فقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الآن يا عمر صار إيمانك كاملًا**».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: من يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» رواه البخاري.

ولو خرجت عن مكمن الغرور وأنصفت من نفسك يا رجل، وكلنا ذلك الرجل؛ لعلمت أنك من حين تمسي إلى حين تصبح لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك إلا برجل الدنيا الفانية، ثم تطمع في أن تكون غدًا من أمته وأتباعه! فويحك ما أبعد ظنّنا وما أفحش طمعنا!

قال الله تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [القلم: ٣٥- ٣٦].

محبة الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أنَّ أعرابيًّا قال لرسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **متى الساعة؟ قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ما أعددتَ لها؟ قال: حُبَّ الله ورسولِه، قال: أنت مع مَن أحببتَ**»[1].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**جاء رجل إلى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجلٍ أحَبَّ قومًا ولم يَلحَقْ بهم؟ فقال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **المرء مع من أحَبّ**»[2].

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) متفق عليه.

وعنه: «**أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ومَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا. قَالَ: لا شيءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ ورَسولَه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **فَقَالَ: أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَما فَرِحْنَا بشيءٍ فَرَحَنَا بقَوْلِ النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فأَنَا أُحِبُّ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ، وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ معهُمْ بحُبِّي إِيَّاهُمْ، وإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ**»[1].

ولم يذكُرْ غيرَها من العباداتِ القَلبيَّةِ والبَدَنيَّةِ والماليَّةِ؛ لأنها كُلَّها فروعٌ للمَحَبَّةِ مترتِّبةٌ عليها، ولأنَّ المحبَّةَ هي أعلَمُ منازِلِ السَّائِرين، وأعلى مقاماتِ الطَّائرين؛ فإنها باعِثةٌ لمحبَّةِ اللهِ أو نتيجةٌ لها.

فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ مع مَن أحببْتَ**»، أي: معهم في الجنَّةِ.

وليس المرادُ بالمَعِيَّةِ التساوي في الدَّرَجةِ والمنزلةِ، بل المرادُ كَونُهم في الجنَّةِ بحيث يتمكَّنُ كُلُّ واحدٍ منهم من رؤيةِ الآخَرِ وإن بَعُدَ المكانُ؛ لأنَّ الحجابَ إذا زال شاهَدَ بَعضُهم بعضًا، وإذا أرادوا الرُّؤيةَ والتلاقي قدَروا على ذلك.

فقال الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عليهم: «ونحْنُ كذلك»، أي: نحْنُ أيضًا نُحبُّ اللهَ ورسولَه، فهل نكونُ مع مَن أحبَبْنَا؟ فقال لهمُ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعمْ**»، فَفرِحوا بذلك فرحًا شديدًا[2].

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) صحيح البخاري.

نموذج من ذلك: صحابي جليل اسمه ثوبان بن بُجْدُد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثوبان هذا مرّت عليه مأساة، لم تكنْ بسبب فقرٍ أو مرض أو دَين أو لأي شيء له تعلق بالدنيا، دخل يومًا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاحبَ الوجه هزيلَ الجسم ترتسم أمارات الحزن على وجهه، فقال له صاحب أحنى قلب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا ثوبان، ما غير لونَك؟**». لماذا تغير لونُك ونحُل جسمك يا ثوبان؟ فقال: يا رسول الله، ما بي ضرّ ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشةً شديدة حتى ألقاك، فإذا لقيتك يا رسول الله استبشرت وعادت القوة إلى جسمي، ثم إذا ذكرت الآخرة، وأخاف ألا أراك هناك، لأني عرفت أنك تُرفَع مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة كنتُ في منزلةٍ هي أدنى من منزلتك، وإن لم أَدْخُلْها فَذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا أَرَاكَ أبدًا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩].

محبة الأكوان والجمادات
ومعرفتهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا علَى جُذُوعٍ مِن نَخْلٍ، فَكانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا خَطَبَ يَقُومُ إلى جِذْعٍ منها، فَلَمَّا صُنِعَ له المِنْبَرُ وكانَ عليه، فَسَمِعْنَا لِذلكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حتَّى جَاءَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: بم أعرف أنك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: أرأيتَ إنْ دعوتُ هذا العذقَ من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فدعا العذقَ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط على الأرض، فأقبل إليه، وهو يسجد ويرفع، ويسجد ويرفع، حتى انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال له: ارجعْ، فرجع إلى مكانه، فقال: والله لا أكذبك بشيءٍ تقوله بعدُ أبدًا، أشهد أنك رسول الله، وآمن**»[1].

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبع حصيات، أو قال: تسعُ حصيات، فأخذهن في كفّه، فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في كفّ أبي بكر فسبّحن، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبَّحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن**».

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله**»[2].

---

(١) الحاكم في المستدرك.

(٢) الحاكم في المستدرك.

محبة النبي لأمته الذين جاؤوا من بعده

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن كثير في تفسيره: [وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعز عليه الشّيء الذي يعنت أمّته ويشقّ عليها، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم ووصول النّفع الدنيوي والأخرويّ إليكم. وقِيل: أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقّه مُقدَّمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتعزيره وتوقيره].

ومن صور ومظاهر محبة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته: دعوته لها في كل صلاة، وشدة رحمته وشفقته بها، وشفاعته لها... ومنها كذلك: حبه واشتياقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن أتى بعدَه من أمته وآمنَ به ولم يرَه، والأحاديث في ذلك كثيرة:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مع أصحابه ذات يوم يزورون المقبرة فقال لهم: «**وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَينَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدُ، قَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ من أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**».

محبة الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودلائل تلك المحبة

إنَّ حبَّ الله تعالى لنبيّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لا يعلم قدره إلا هو سبحانه، وحسبُنا أن نقرأ خطاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له: ﴿ **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور: ٤٨].

فله من المآثر الرفيعة ما ليس لغيرِه من إخوانه الأنبياء والمرسلين، عليه وعليهم أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم، مما يدل على عظيم محبّة الله تعالى له، كعموم رسالته الثقلين، وشمولها بين الخافقين، وأنه خاتم النبيين، وهو صاحب الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، والشفاعة الكبرى، والحوض المورود، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلُ اللهِ تعالى وغيرها، وحسبنا أن نذكرَ شيئًا من هذه المآثر:

١. قرن اسمه تعالى باسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشهادة:

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ** ﴾ [الضحى: ٥].

فلا يُقبَل إسلامُ مسلم إلَّا أن يشهد أن لَا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله. وهو الركن الأول من أركان الإسلام.

فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: «**بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ. فَقَالَ**

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النبيِّ إلى اسْمِهِ إذا قالَ في الخَمْسِ المؤذِّنُ أَشْهَدُ
وشَقَّ لَه من اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذو العَرشِ محمودٌ وهذا محمَّدُ.

٢. أعطاهُ اللهُ تعالى ما لم يُعطِ غيرَه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام:

عن جَابِر بْن عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**».

٣. جعله اللهُ تعالى سيّدَ الخَلْق:

وهو أولُ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأولُ شافِع ومشَفَّع.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

٤. أعطاه اللهُ تعالى الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ والمَقَام المحمود:

عَـنْ عَبْـدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَـمِعَ النَّبِـيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا سَـمِعْتُمُ الْمُـؤَذِّنَ فَقُولُـوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّـوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَـنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْـرًا، ثُمَّ سَـلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِـيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْـدٍ مِـنْ عِبَـادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَـأَلَ لِيَ الْوَسِـيلَةَ؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

وعَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًى كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ الله الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ**».

وبشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرج أناس قد دخلوا جهنم، ويدخلون الجنة...

فعن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يخرُجُ قومٌ من النارِ بشفاعةِ محمدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فيدخلون الجنَّةَ يُسمَّون الجَهَنَّميِّين**».

٥. أعطاه اللهُ تعالى المحبَّة والخُلَّة:

أمَّـا في المحبـة فقـال القاضي عيـاض: [جاءت بذلـك الآثـارُ الصحيحةُ، واخْتُصَّ على ألسنة المسلمين بحبيبِ اللهِ].

وأمَّـا في الخُلَّـة فقال ابن القيِّم: [وأمـا الخلة فتوحيد المحبـة، فالخليل هو الـذي توحَّدَ حُبُّـه لمحبوبه، وهـي رتبةٌ لا تقبل المشـاركة، ولهـذا اخْتُصَّ بها في العالَمِ الخليلانِ إبراهيمُ ومحمدٌ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهما، كما قال اللهُ تعالى:

﴿ **وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا** ﴾ [النساء: ١٢٥]. وصحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ اللهَ اتخذني خليلًا كما اتخذَ إبراهيم خليلًا**»].

وقال الإمام النووي: [قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيّ: الْخَلِيل، مَعْنَاهُ المحِبّ الْكَامِل المحَبَّة، وَالمحْبُوب الموَفِّي بِحَقِيقَةِ المحَبَّة، اللَّذَانِ لَيْسَ فِي حُبّهمَا نَقْص وَلَا خَلَل].

وقد اتخذَ اللهُ تعالى نبيَّنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا.

فعن عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**».

قال القاضي عياض: [واختلف العلماءُ أربابُ القلوبِ أيهما أرفعُ درجةً: درجةُ الخُلَّة أو درجةُ المحبة؟ فجعلهما بعضهم سواءً؛ فلا يكون الحبيبُ إلا خليلًا، ولا الخليلُ إلا حبيبًا، لكنه خصَّ إبراهيمَ بالخُلَّةِ، ومحمدًا بالمحبّة..]

وقال: مزيَّةُ الخُلَّةِ، وَخُصُوصِيَّةُ الْمَحَبةِ حَاصِلَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ الصَّحِيحَة المنتشرة الْمُتَلَقَّاةُ بِالْقَبُولِ مِنَ الْأُمَّةِ، وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَام أَبُو بَكْرِ بن فُورَك عَنْ بَعْض الْمُتَكَلِّمِينَ كَلامًا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحَبَّةَ وَالْخُلَّةِ يَطُولُ، جُمْلَةُ إشاراته إِلَى تَفْضِيلِ مَقَامِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْخُلَّةِ، وَنَحْنُ

نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُم: الْخَلِيلُ يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ من قَوْلِهِ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] والْحَبِيبُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِهِ من قَوْلِهِ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩].

٦. صلاةُ اللهِ تعالى والملائكة والمؤمنين عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

إنَّ هذه الآية الكريمة اشتملت على الخبر أولًا، والأمر ثانيًا.

أمَّا الخبر، فإنَّ الله تعالى أخبر عبادَه في هذه الآية الكريمة، بمنزلة هذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده في الملأ الأعلى، بأنه يُصلِّي عليه عند المقرَّبين هناك، وأنَّ الملائكة كلّهم يصلون عليه، وما ذاك إلَّا لفضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربه، وعلوِّ مقامه وشرف قدره في الملأ الأعلى.

ثمَّ أمر سبحانه أهل العالم الأدنى بالصلاة عليه، وذلك ليجتمع له الثناء والتكريم والتعظيم من أهل العالَمَيْن.

وهذا شاهد لمحبة الله تعالى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفرق بين المغالاة والشرك والمحبة

سبق أن عرفنا معنى المحبة لغة واصطلاحًا.

المغالاة:

الغلو لغةً: تشير مادة (غلا) إلى الارتفاع ومجاوزة الحدّ، وهذا المعنى هو الذي توافقت عليه معاجم اللغة.

تقول: غلا الماء إذا فار وارتفع، وغلا السعر إذا تجاوز العادة، وغلا في الدين إذا تشدّد وتصلّب حتى جاوز الحدّ.

الغلو اصطلاحًا: لم يبتعد التعريف الاصطلاحي للغلو كثيرًا عن التعريف اللغوي، فإذا كان المفهوم اللغوي للكلمة عامًّا في كل تجاوز ماديًّا كان أو معنويًّا، فإن التعريف الاصطلاحي خصّص الغلو وحدّد مفهومَه أكثر، فاقتصر على الجانب المعنويّ الذي ينمّ عن توجّه فكريّ يظهر أثرُه على السلوك، وقد وضع العلماء عدة عبارات تشرح معنى الغلو اصطلاحًا.

ومن هذه العبارات:

١. عرفه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بأنه هو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحدّ، وفيه معنى التعمق والزيادة على ما لم يُطلَب شرعًا.

٢. وفسر الفخر الرازي الغلو بالإفراط في جانب التعظيم.

الفرق بين المحبة والادعاء:

المحبـة وصفٌ قلبي باطن، بينمـا الاتباع وصفٌ بَدَني ظاهر.

وإذا كان الاتباع ثمرةً للمحبة كان سببًا للمحبوبية: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

أمـا إذا كان الاتبـاع منفـصلًا عـن ذوق المحبّة فإنه يصبـح ضَلالًا وادعاءً؛ يُهلك صاحبَه بالكِبر والقسوة، ويجعله سببًا في إهلاك الآخرين.

قـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصـف الخـوارج: «... **يقـرؤون القرآن كمـا أُنزِل لا يجـاوز حناجرهـم، يحقر أحدكـم صلاته إلى صلاتهـم وصيامه إلـى صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...**».

هل مديح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعدّ من الغلو والمبالغة المخالف لأحكام الشرع؟

عرَّف العلماء مديح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه: هو الشِّعْرُ الـذي ينصَـبُّ على مـدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعـداد صفاته الخِلْقِيَّـة والخُلُقِيَّـة، وإظهـار الشـوق لرؤيته، ولزيـارة قبره والأماكن المقدّسـة التي ترتبط بحياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سـيرته، والإشادة بغزواته وصفاته الْمُثلى، والصلاة عليه تقديرًا وتعظيمًا، فهو شعرٌ صادقٌ بعيدٌ عن التزلُّف

والتَّكَسُّب، ويُرجى به التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ومهما وصفه الواصفون فلن يُوَفُّوه حقَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشيخ الباجوري رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة شرحه للبردة: [إن كمالاتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُحْصَى، وشمائله لا تُسْتَقصى، فالمادحون لجنابه العليّ، والواصفون لكماله الجلي، مُقصِّرون عمَّا هنالك، قاصرون عن أداء ذلك].

فما يُظَنُّ غُلُوًّا في حقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو على الحقيقة تقصير، ولا يبلغ البليغ إلا قليلًا من كثير.

وممَّا يدلّ على أنّ مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو مجرد وصفِ بعض ما ظهر من حضرته من كمالاتٍ أنه قد مُدِح أيضًا في الجاهلية؛ فقد مَدَحه عمه أبو طالب فقال:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

والمديح النبوي مشروع بعموم أدلة القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفتح: ٨-٩]. والتعزير هو التعظيم، ومدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مظاهر تعظيمه وحبه[1].

(١) انتهى بتصرف، فتوى رقم: ٧٠٩٣، دار الإفتاء المصرية.

الشِّرك:

الشِّـرك لغة: بكسر الشـين أي: الشّركة، وهو أن يكون الشـيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلانًا في الشيء إذا صرت شريكَه، وأشركت فلانًا إذا جعلته شريكًا لك.

وقال الجوهري: [الشـريك يجمع على شـركاء وأشـراك، وشـاركت فلانًا صرت شـريكه، واشتركنا وتشـاركنا في كذا، وشـركته في البيع والميراث أشـركه شركة، والاسم: الشرك].

الشـرك اصطلاحًا: اختلَفَت عباراتُ العُلَماءِ في بَيانِ معنى الشِّرْكِ في الدِّينِ، وإن كانت هذه العباراتُ يُكمِلُ بعضُها الآخرَ.

قال ابنُ قُتَيبةَ: [الشِّرْكُ باللهِ هو أن يُجعَلَ له شَريكٌ].

وقـال الأزهَـرِيُّ: [الشِّـرْكُ: أن تجعَلَ للهِ شَـريكًا في رُبوبيَّتِـه، تعالى اللهُ عن الشُّـرَكاءِ والأندادِ، وإنَّما دَخَلت الباءُ في قَولِه: ﴿**لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ**﴾؛ لأنَّ معناه: لا تَعدِلْ به غيرَه فتَجعَلَه شريكًا له، وكذلك قَولُ: ﴿**بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُـلْطَٰنًا**﴾ [آل عمران: ١٥١]؛ لأنَّ معناه: عَدَلوا به، ومن عَدَل باللهِ شـيئًا مِن خَلْقِه فهو مُشرِكٌ؛ لأنَّ اللهَ واحِدٌ لا شريكَ له ولا نِدَّ، ولا نديدَ].

وقال القُرطبيُّ: [أصلُه -أي: الشِّـرْكِ- اعتِقادُ شَـريكٍ للّـهِ في ألوهيَّتِه، وهو الشِّـرْكُ الأعظَمُ، وهو شِـرْكُ الجاهِليَّـةِ، ويليه في الرُّتبـةِ اعتِقادُ شَـريكٍ للّهِ تعالى

في الفِعـلِ، وهـو قَولُ مَن قـال: إنَّ موجودًا ما غيرَ اللهِ تعالى يسـتَقِلُّ بإحداثِ فِعلٍ وإيجادِه، وإن لم يُعتَقَدْ كَونُه إلهًا].

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع: «**وإني لا أخشـى عليكم أن تشـركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم**»[1].

عـن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهـم لا تجعل قبري وثنًـا، لعن اللّه قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مسـاجد**». هكذا من دون كلمة (يُعبَد)، والحديث رواه الإمام أحمد في (المسند) وقال المحققون: إسناده قوي.

(١) وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم.

السنة بين المحدثين والأصوليين والفقهاء

تعريف السنة

أولًا: تعريفها في اللغة:

هي الطريقة المتّبعة، والسّيرة المستمرَّة، سواء كانت حسنة أم سيئة، وقد استُخْدِمَت بهذا المعنى في القرآن والسُّنة. قال تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٧٧].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن سنَّ في الإسلام سُنةً حسنة، فله أجرُها وأجر مَن عمِل بها بعده مِن غير أن ينقصَ من أجورهم شيء، ومَن سنَّ في الإسلام سُنةً سيِّئة، كان عليه وزرُها ووِزْر مَن عمل بها بعده من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء**»[1].

فإذا أُطْلِقت كلمة (السُّنة) مفردةً ومعرَّفةً بالألف واللام في لغةِ الصحابة والسلف، فالمراد بها: سُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي: الطريقة التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرَّاها في تنفيذ ما بعثه الله عَزَّوَجَلَّ به من الهُدى ودين الحق.

فالسُّنة هي الطريقة والعادة المتَّبعة، والطريقة المبتدَأة، حسنة كانت أو سيئة، ولكن علماء اللغة اتَّفقوا على أن كلمة (السُّنة) إذا أُطلِقَت انصرفت إلى الطريقة أو السيرة الحسنة فقط، ولا تُستعمَل في السيئة إلا مُقَيَّدةً.

---

(١) أخرجه مسلم.

ثانيًا: تعريفها في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف السُّنة على حسب اختلاف أغراضهم واختصاصاتهم، فلكل طائفةٍ من العلماء غرضٌ خاصّ مِن بحثهم.

فغرض المحدِّثين: البحث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القدوة، الذي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالاقتداءِ به في كل شيء؛ ولذلك عُنُوا بنقل كل ما نُسِب إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أقوال وأفعال، وسيرة وشمائل، سواء أَثْبَت المنقولُ حكمًا شرعيًّا أم لا، مع بيان درجته من حيث القبول والرّد.

وغرض الأصوليين: البحث عن المصادر الشرعية التي تُؤْخَذ منها الأحكام الفقهية من قرآن وسنّة وإجماع وقياس؛ ولذلك اعتَنَوا بما يُثْبِت الأحكام الشرعية من قولٍ وفعلٍ وتقرير فقط.

وغرض علماء الفقه: البحث عن حكم الشرع على أفعال العباد مِن فرض وواجب ومندوب، وحرام ومكروه، ومباح.

وغرض علماء الوعظ: الاعتناء بأوامر الشرع ونواهيه، فأوامره سنة، ونواهيه بدعة.

وإذا ورد لفظ (السُّنة) مطلَقًا في كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فالمراد به الطريقة المشروعة المتّبعة في الدين، والمنهج النّبوي الحنيف.

السُّنة في اصطلاح المحدِّثين

عـرَّف المحدِّثـون السُّـنة بأنهـا أقـوال النبـي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأفعالـه وتقريراتـه وصفاتـه الخِلْقِيـة والخُلُقيـة، وسـائر أخبـاره، سـواءٌ أكان ذلـك قبـل البعثـة أم بعدهـا.

فالسُّـنة مرادِفـة للحديـث المرفـوع، ولا تشـمل الموقـوف ولا المقطوع، واسـتدلُّوا لذلك بأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سـمَّى ما جاء على لسانه غير القرآن سُنةً، فقال: «**يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسُنتي**».

وعلى هذا القول يُحمَل تسمية كثير من المحدِّثين لكتبهم الخاصة بالحديث المرفوع باسم السنن، مثل: سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النَّسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارقطني، وغيرها.

وقال بعض العلماء: السُّـنة هي أقـوال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته وصفاته، وسـائر أخباره، قبل البعثة أو بعدها، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم، واستدلُّوا على ذلك بقول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**عليكم بسُنتي، وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ**».

وقال بعض العلماء: السُّنة هي ما كان عليه العمل في الصدر الأول للإسلام، وعلى هذا يُحمَل قول عبد الرحمن بن مهدي: [لم أرَ أحدًا قط أعلمَ بالسُّنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد]. وقوله عندما سُئِل

عن سفيان الثوري والأوزاعي ومالك، فقال: [سفيان الثوري إمامٌ في الحديث وليس بإمامٍ في السنة، والأوزاعي إمامٌ في السّنة وليس بإمامٍ في الحديث، ومالك إمامٌ فيهما].

إن السُّنة هي أقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أخباره قبل البعثة وبعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، وهذا قول جمهور المحدِّثين، وهي عندهم مرادفة للحديث؛ ولذلك سمَّى الحافظ البيهقي كتابه (السنن الكبرى)، مع أنه ضمنه فتاوى الصحابة والتابعين وأقوالهم. واستدلُّوا لذلك بأن الصحابة رضوان الله عليهم خالَطوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهدوا نزول الوحي، ثم خالط التابعون الصحابةَ وجالسوهم، وسمِعوا منهم، مع حبّهم الشّديد للسّنة، وحرصِهم التامِّ على الاقتداء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، مع ما كانوا عليه من فقهٍ وعلم وذكاء؛ ولذلك دخلت أقوالهم وأفعالهم في مفهوم السّنة، وهذا هو أرجح الأقوال وأقواها، وهو ما جرى عليه العمل عند المحدِّثين.

السُّنة في اصطلاح الأصوليين

عرَّف علماء أصول الفقه السُّنة بأنها أقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفعاله، وتقريراته التي يُسْتدَلُّ بها على الأحكام الشرعية، فهم يبحثون عن السُّنة بصفتها مصدرًا للتشريع، وتالية للقرآن الكريم، وهذه الثلاثة هي التي تُثبت الأحكام وتقرِّرها، فهي تدلّ على طريقته في فهم دين الله عَزَّوَجَلَّ والعمل به، أما

أقواله وأفعاله وتقريراته التي تُعَدُّ من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليست داخلةً في مفهوم السنة عند الأصوليين، وكذلك صفاته؛ لأنها لا تُفِيدُ حكمًا شرعيًّا يتعبَّدُ الناس به.

السُّنة في اصطلاح الفقهاء

السنة عند الفقهاء هي ما ثبَت طلبه بدليلٍ شرعي، من غير افتراض ولا وجوب؛ مثل: تقديم اليمنى على اليسرى في الطهارة، ومثل الركعتين قبل الظهر، فهي بمعنى المندوب والمستحبِّ، فيُثاب المسلم على فعلها، ولا يُعاقب على تركها، فهي أحد الأحكام الشرعية الخمسة عند الفقهاء.

أهمية السّنة في العصر الحديث

وإذا كان الدين الإسلامي يأخذ مبادئه من كتاب الله تعالى، فإنه يأخذ التفصيل والإيضاح من سنة رسوله، فتقرّر أن الذي جاء في كتاب الله تعالى، والذي جاء في حديث رسول الله كلاهما ينيران طريق الهداية والإرشاد في مجالات الدين، ويؤديان غرضًا أساسيًّا في تبيين سمات الحياة الإسلامية الرشيدة، كما أنهما يحيطان بأطراف حياة المسلم في كلّ زمان ومكان.

وقد رأينا وقد مضت على بزوغ شمس الإسلام أكثرُ من أربعة عشر قرنًا أن أحكام هذا الدين الإسلامي لم تعجزْ في أيّ حال من أحوال الحياة المتطوّرة والمتجدّدة.

رغـم أن هـذا الدين قد تقـرّر في عهـده الأول عندما كانت الأمـة تعيش في البادية، وبعيدة عن التعليم والكتب؛ وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي نزل عليه القرآن، ووقعت عليه مسؤولية تبليغ الدين لم يتلقَّ علمًا إلا بالقرآن وحدَه، النازل إليه من عند ربّه، وقام رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسـاس الوحي من الله تعالى بتوسيع علمه الدّعوي والتّربوي، واتسع نجاحه وفتوحه حتى وصل الإسلام إلى بلدان كانت قد قطعت أشواطًا كبيرةً في العلم والمدنيّة والسّياسة.

الفرق بين الاتباع والابتداع

الابتداع

التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب: بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه. و**البِدْعةُ**: الحَدَث وَمَا ابْتُدِعَ مِنَ الدِّينِ بَعْدَ الإِكمال. و**البِدْعةُ** كلُّ مُحْدَثةٍ. المبتدع الذي يأتي أمرًا على شَبَهٍ لم يكنْ ابتدأَه إِيَّاه، وَفُلَانٌ بِدْعٌ فِي هَذَا الأَمرِ أَيْ أَوّلُ لَمْ يَسْبِقْه أَحد، بل ابتدأه هو. وأبدع وابتدع وتبدّع: أتى ببدعة، وبدَّعه: نسَبَه إلى البدعة، وأبدعت الشيء: اخترعتُه لا على مثال.

اتجاهات العلماء في المراد بالبدعة اصطلاحًا:

الاتجاه الأول: ذهب إليه الإمام الشافعي والعز بن عبد السلام وأبو شامة، والنووي من الشافعية، والإمام القرافي والزرقاني من المالكية.

تعريف العز بن عبد السلام للبدعة:

وهو: أنها فعل ما؛ لم يُعهَد في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهي منقسمةٌ إلى بدعةٍ واجبة، وبدعةٍ محرَّمة، وبدعةٍ مندوبة، وبدعةٍ مكروهة، وبدعةٍ مباحة.

أدلة هذا القول:

وعلى هذا التقسيم حملوا ما روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرفوعًا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سنَّ سُنَّةً حسنةً، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سُنَّةً سيئةً، فعليه وِزرها وَوِزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[1].

واستدلّوا أيضًا بحديثٍ عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري، أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلةً في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرّجل فيصلي بصلاته الرهطُ، فقال عمر: «إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئٍ واحد، لكان أمثل».

ثم عزم، فجمعهم على أُبَيِّ بن كعب، ثم خرجتُ معه ليلةً أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم.

قال عمر: «نِعْمَ البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون».

يريد آخرَ الليل، وكان الناس يقومون أوله.

الاتجاه الثاني: اتجه فريقٌ من العلماء إلى ذمّ البدعة، وقرروا أن البدعة كلَّها ضلالة، سواء في العادات أو العبادات. ومن القائلين بهذا الإمام مالك والشاطبي والطرطوشي. ومن الحنفية: الإمام الشُّمُنِّي.

---

(١) رواه مسلم.

أدلة أصحاب هذا القول:

استدلوا بحديث العرباض بن سارية: «... **وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور. فإن كلَّ محدَثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالة**»[1].

وقد عرّفَ هذا الفريق (البدعة) بقوله: طريقةٌ في الدين مخترَعَة تضاهي الشريعةَ؛ يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

وبهذا التعريف تدخل العاداتُ في البدع إذا ضاهت الطريقة الشرعية، كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد متعرضًا للشمس لا يستظل، والاقتصار في المأكل والملبس على صنفٍ دون صنفٍ من غيرِ علّة.

أمثلة للبدعة بأقسامها المتعددة:

البدعة الواجبة: كالاشتغال بعلمِ النحو الذي يُفهَم به كلام الله ورسوله، وذلك واجب؛ لأنه لا بدّ منه لحفظ الشريعة، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

البدعة المحرَّمة: من أمثلتها: مذهب القدرية، والجبرية، والمرجئة، والخوارج.

البدعة المندوبة: مثل إحداث المدارس، وبناء القناطر، ومنها صلاة التراويح جماعةً في المسجد بإمام واحد.

البدعة المكروهة: مثل تزويق المصاحف.

---

(١) سنن أبي داود.

البدعـة المباحة: مثل المصافحة عقب الصلوات، ومنها التوسـع في اللّذيذ من المآكل والمشارب والملابس.

البدعة في العادات: ذهب قومٌ إلى أن الابتداع في العادات التي ليس لها تعلّقٌ بالعبـادات جائز؛ لأنه لو جازت المؤاخـذة في الابتداع في العادات لوجب أن تُعَدَّ كلّ العـادات التي حدثت بعد الصّدر الأول -من المآكل والمشـارب والملابس والمسـائل النازلـة- بدعًا مكروهاتٍ، والتالـي باطل؛ لأنه لم يقـلْ أحدٌ بأن تلك العـادات التي برزت بعد الصـدر الأول مخالِفةٌ لهم؛ ولأن العادات من الأشـياء التي تدور مع الزمان والمكان.

الاتباع

فالاتبـاع هو دليلُ المحبة الأول، وشـاهدها الأمثل، بـل كلّما عظم الحبُّ زادت الطاعة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالطاعة إذًا هي ثمرة المحبة، ولذلك حسم القرآن دلائلَ المحبة لله ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آية المحنة.

وهي قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل اتباعَ نبيّه دليلًا على حبه سـبحانه، فهو من باب أولى دليلٌ علـى حبّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن دلائل محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمُه وتوقيـرُه والأدب معـه، بما يقتضيه مقام النبوة والرسـالة مـن كمال الأدب وتمام التوقيـر، وهـو من أعظـم مظاهر حبّه، ومـن آكد حقوقِـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته،

كمـا أنه من أهمّ واجبات الدين، قال تعالى: ﴿ **لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾ [الفتح: ٩].

فالتسبيح لله عَزَّوَجَلَّ، والتعزير والتوقير للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو بمعنى التعظيم.

ومـن الأدب معـه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تقديمُه علـى كلّ أحد، والثنـاء عليه بما هو أهلُـه، وتوقير حديثه، وعدم رفع الصوت عليه أو التقديم بين يديه، وكثرة الصّلاة والسّلام عليه.

قـال إبراهيـم بـن الجنيـد رَحِمَهُٱللَّهُ: [يُقَـال: علامـة المحـبّ لله على صدق الحب... اتباع رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ].

والمحبّة شجرةٌ ثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح...

قـال الإمام الغزالـي رَحِمَهُٱللَّهُ: [اعلمْ أن المحبةَ يدعيها كلّ أحدٍ، وما أسـهل الدعوى وما أعزّ المعنى، والمحبّة شجرةٌ طيبة... ثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح].

نموذج اتباع الصحابة رضوان الله عليهم للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا، فَجَعَـلَ لِي مِنْهُـمْ وُزَرَاءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا، فَمَنْ سَـبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَـةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «فَمَنْ سَمِعَ فَنَفَعَهُ اللهُ الْكَرِيمُ بِالْعِلْمِ أَحَبَّهُمْ أَجْمَعِينَ: الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَأَصْهَارَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مَنْ تَزَوَّجَ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ زَوَّجَهُمْ، وَجَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ، وَجَمِيعَ أَزْوَاجِهِ، وَاتَّقَى اللهَ الْكَرِيمَ فِيهِمْ، وَلَمْ يَسُبَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَإِذَا سَمِعَ أَحَدًا يَسُبُّ أَحَدًا مِنْهُمْ نَهَاهُ وَزَجَرَهُ وَنَصَحَهُ، فَإِنْ أَبَى هَجَرَهُ وَلَمْ يُجَالِسْهُ. فَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا مَذْهَبُهُ رَجَوْتُ لَهُ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

١. حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام:

ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين حين قدموا المدينة كانوا يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ١٦ أو ١٧ شهرًا، ثم جاء الأمر الإلهي بعد ذلك بالصلاة قِبَلَ الكعبة المشرّفة، ونزلت في ذلك آيات كريمة كما سيأتي.

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على أن يتوجَّه في صلاته إلى قبلة أبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو أولى الناس به؛ لأنه من ثمرة دعوة أبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحامل لواء التوحيد بحقٍّ كما حملها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص على أن يكون مستقلًّا ومتميزًا عن أهل الديانات السابقة الذين حرّفوا، وبدّلوا، وغيروا كاليهود والنصارى، ولهذا كان ينهى عن تقليدِهم والتشبّه بهم بل يأمر بمخالفتهم، ويحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه من الزلل والخطل والانحراف، ومقتضى هذا الحرص أن يتوجه في صلاته دائمًا إلى قبلة أبي الأنبياء، وهو أوّل بيتٍ وُضِعَ للناس.

تكاد تكون حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة هي الفاصل بين الحرب الكلامية وحرب المناوشات، والتدخل الفعلي من جانب اليهود لزعزعة الدولة الإسلامية الناشئة[1].

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده -أو قال: أخواله- من الأنصار، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى أولَ صلاة صلاها، صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجلٌ ممن صلى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله! لقد صليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبلَ مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم أنه كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهَه قبل البيت أنكروا ذلك[2]. وقد نزلت في هذه الحادثة آيات عظيمة، فيها عبَرٌ وحِكمٌ ودروس للصف المسلم.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(١) (اليهود في السنة المطهرة، ١/ ٢٥٨).
(٢) متفق عليه.

فالآيات الكريمة تربي الصحابة من خلال الأحداث العظيمة كحادثة تغيير القبلة، وتصوغ الشخصية المسلمة القوية التي لا ترضى إلا بالإسلام دينًا وبالرسول متبعًا.

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥١]:

فوجود شخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام المربين والدعاة هو من خصيصة هذه النخبة القيادية التي شرفها الله تعالى بأن يكون هو المسؤول عن تربيتها؛ فقيه النفوس، وطبيب القلوب، ونور الأفئدة؛ فهو النور، والبرهان، والحجة.

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾:

فالمادة الأساسية للبناء والتربية كلام الله تعالى، وكانت ترافقه شحنةٌ عظيمة لنزوله أولَ الأمرِ غضًّا طريًّا، فكان جيلًا متميزًا في تاريخ الإنسانية.

﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾:

فالمعلم المربي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو المسؤول عن التربية، وهو الذي بلغ من الخلق والتطبيق لأحكام القرآن الكريم ما وصفه الله تعالى به من هذا الوصف الجامع المانع الذي تفرّد به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دون البشرية كافة.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤].

وهـو الـذي وصفته عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأعظم ما يملك بشـرٌ أن يصف به نبيًّا، فقالت: «**كان خلق نبي الله القرآن**»[1].

فكان الصحابة يسـمعون القرآن الذي يُتلى من فم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرون القرآن الذي يمشي على الأرض، متجسدًا في خلقه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهـذه هي المهمـة ﴿ **وَيُعَلِّمُكُـمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ** ﴾: تعليـم الصحابة الكـرام الكتـاب، والحكمة، فالقـرآن الكريم لكي يكون مؤثِّـرًا في الأمة لا بدّ من المربـي الربـاني الذي يزكـي النفوس، ويطهـر القلوب، ويعلمها شـرع الله تعالى من خلال القرآن الكريم، وسـنة سـيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشرح للمسلمين غامضَه، ويبيّن محكمَه، ويفصّل مجملَه، ويسأل عن تطبيقِه، ويصحّح خطأَ الفهم لهم إن وُجِد.

كان الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلّم ويُربّي أصحابه لكـي يُعلموا ويُربوا الناس علـى المنهج الربـاني، فتعلَّم الصحابة من رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهجَ التعليم، ومنهـجَ التربيـة، ومنهجَ الدعـوة، ومنهجَ القيـادة للأمة من خلال ما تسـمع، وما تبصر، ومن خلال ما تعاني وتجاهد، فاسـتطاع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعدّ الجيل إعدادًا كاملا، ويجعله مؤهّلًا لقيادة البشـرية، وانطلـقَ أصحابُه من بعده يحملون التربية القرآنية والتربية النبوية إلى كل صقع، وأصبحوا شهداءَ على الناس.

(١) البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨)، وأحمد (٦/ ٩١)، والنسائي في السنن الكبرى.

٢. لا تسأل أحدًا شيئًا:

عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنا عند رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ألا تبايعون رسول الله؟ وكنا حديثي عهدٍ ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! فقال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ألا تبايعون رسول الله؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! فعلام نبايعك؟ قال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، وأسرَّ كلمةً خفية، ولا تسألوا الناس شيئًا. قال عوف: فلقد رأيتُ بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا يناوله إياه**»[1].

قال القرطبي: [وأخْذُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه في البيعة أن لا يسألوا أحدًا شيئًا -حمْلٌ لهم على مكارم الأخلاق، والترفُّع عن تحمل مِنَن الخَلق، وتعليم الصّبر على مضض الحاجات، والاستغناء عن الناس وعزة النفوس، ولما أخذهم بذلك التزموه في جميع الأشياء، وفي كلّ الأحوال حتى فيما لا تلحق فيه مِنَّة، طردًا للباب وحسْمًا للذرائع].

٣. لا آخذه أبدًا، وقد طرحه رسول الله:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أنَّ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رأى خاتمًا من ذهب في يدِ رجلٍ فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرةٍ من نار فيجعلها في**

(١) رواه مسلم.

يده، فقيل للرّجل بعدما ذهب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **خذ خاتمَك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبدًا، وقد طرحه رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[1].

قال النووي: [فيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجتناب نهيه، وعدم الترخّص فيه بالتأويلات الضعيفة].

فالمسلم عليه أن يعرفَ حقيقة الأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك بالتسليم لأمره، وطاعته في كلّ ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، دون ريْبٍ أو تردّد أو حرج، ولو كان أمره أو نهيه مخالفًا للنفس والعقل، والطبْع والعادة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قِيل في تفسيرها: [أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ﴿ **أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسِه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله].

وقال ابن القيم في كتابه مدارج السالكين: [رأس الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمالُ التسليمِ له والانقياد لأمره].

(١) رواه مسلم.

الأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

معنى الأدب لغةً:

أما الأدب، فقد ذكر ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ أن الأدب دعاء الناس، إذا دعوتهم إلى شيء. وسميت المأدبة: مأدبةً؛ لأنه يدعى الناس فيها إلى الطعام. والآدب هو الداعي. وكذلك فإن الأدب أمرٌ قد أجمع على استحسانه.

وعرفًا: ما دعا الخلق إلى المحامد ومكارم الأخلاق وتهذيبها. وذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لكتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال: الأدب استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا.

وعبر بعضهم عنه: بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق. وقِيل: الوقوف مع الأمور المستحسنة. وقِيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك.

والأدب كذلك مما ورد في تعريفه: حسن الأخلاق، وفعل المكارم. والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمّيَ أدبًا؛ لأنه يأدب الناس إلى المحامد، ويدعوهم إليها.

معنى الأدب شرعًا:

من الأخلاق التي يجب على كل مسلم أن يتحلى بها: أن يلتزم الأدب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل صوره، وأولى هذه الصور اعتقاد تفضيله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل أحدٍ من الخَلق، فهو كما وصف نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متحدثًا بنعمة ربه

عليه، قائلا: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع**».

ومن الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يُتقدَّم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو ويأذن، كما قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١]، وهذا باقٍ إلي يوم القيامة ولم يُنسَخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدّم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند كلّ ذي عقلٍ سليم.

ومن الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا تُرفَع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظنّ برفع الآراء والأفكار على سنته وما جاء به؟! قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: ٢].

ومن الأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا نذكره باسمه مجردًا، بل لا بد من زيادة ذكر النبوة والرسالة لقول الله تعالى: ﴿**لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾ [النور: ٦٣].

ومن الأدب مع الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة عليه، كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالـصلاة والـسلام على الحبيـب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفضـل القربات، وأجل الأعمـال، قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَـنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِـدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**».

أمـا كيفيـة الـصلاة عليـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقـد بيّنهـا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه حين سألوه عن ذلك، فعن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**قيل: يا رسول الله، أمّـا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الـصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

ومـن الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التأسّـي بسـنته ظاهرًا وباطنًا، والتمسـك بها والحـرص عليها، والدعوة إليها، وتحكيم ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمور كلّها، والسّعي في إظهار دينه، ونصرِ ما جاء به، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال القاضي عياض: [اعلم أن مَن أحبَّ شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًـا في حبّـه وكان مدعيًا، فالصادق في حبِّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تظهر علامة ذلـك عليـه، وأولها الاقتداء به واسـتعمال سـنته، واتباع أقواله وأفعالـه، وامتثال أوامـره واجتنـاب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسـره ويسـره، ومنشـطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

هل الأدب مقدّمٌ على الاتباع؟

- الأدب هنا هو الاتباع، والاتباع هو عين الأدب، ومن جعل الأدب هنا شيئًا يخالف الاتباع -بمعنى أنه جعل الأدب ترك الصلاة أو ارتكاب الزنا- كفَر.
- وإن كان المراد بالاتباع اتباع طلبِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيءٍ فيه تنازلٌ عن حقّ نفسه تواضعًا منه؛ فنعم، قد يكون الأدب أن تحفظ حقّه الشريف حتى لو تنازل هو عنه. فهناك طريقان:

- الأدب في حق الأوامر، والنواهي في الشرع الشريف.

- والأدب والمحبة في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع شيء يتنازل هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه.

أمثلة من الشرع الشريف:

(١) من ذلك ما رُوِي في البخاري ومسلم من أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيدنا عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في صلح الحديبية أن يمحو كلمة (رسول الله) فرفض سيدنا عليٌّ وقال: والله لا أمحوها أبدًا، فطلب منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرشدَه لموضعها في الكتابة ومحاها بيده الشريفة.

فهذه مخالفةٌ لاتباع الأمر تقديمًا للأدب، لأن الأمر هنا هو طلبٌ فيه تنازل عن حقّه الشريف تواضعًا منه. ولذلك يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: [وكأن عليًّا فهم أن أمره له بذلك ليس متحتمًا، فلذلك امتنع من امتثاله].

(٢) ومنه أيضًا ما رُوِي عن سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي بالناس، فتخلصَ حتى وقف في الصّف، فلما علم به أبو بكر تراجع، فأمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يثبت إمامًا، فأبى وأصرّ على التأخّر، فتقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما سأله بعد الصلاة: «**ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟ فقال: ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدّم بين يدي رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٣) وكما حدث مع سيدنا حسان بن ثابت عندما كان يقف عند رؤيته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما قلت لكم لا تتمثلوا لي قيامًا كما تتمثل الأعاجم لملوكها**»...

فأنشد سيدنا حسان بن ثابت:

قيامي للعزيز علي فرض وترك الفرض ما هو مستقيم
عجبتُ لمن له عقلٌ وفهمٌ يرى هذا الجمال ولا يقوم

فابتسم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقر ما فعل الصحابي حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) وسيدنا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث أخَّر الطواف لما دخل الكعبة وهو محرم في قضية صلح الحديبية مع علمه بوجوب الطواف عند قدومه للكعبة، وقال: ما كنت لأفعل الطواف حتى يطوف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٥) وفي الأذان نقول: أشهد أن محمدًا رسول الله، لكن لما كان قومٌ لا يعرفون قدر رسول الله وينكرون سيادته، كان من باب الأدب أن نقول: أشهد

أن سيدنا محمدًا رسول الله في الأذان حتى يتعلم أهل هذا الزمان الأدب في حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وقال الشوكاني: [وقد رُوِي عن ابن عبد السلام أنه جعله من باب سلوك الأدب، وهو مبنيٌّ على أن سلوك طريق الأدب أحبّ من الامتثال... ونعلم أنه ذهب إلى استحباب تقديم لفظة (سيدنا) قبل اسمه الشريف في الصلاة، والأذان، وغيرهما من العبادات كثير من فقهاء المذاهب الفقهية: كالعزّ بن عبد السلام، والرّملي، والقليوبي، والشّرقاوي من الشافعية، وابن عابدين، من الحنفية وغيرهم كالشوكاني. أما تقديم (سيدنا) على اسمه الشريف في غير العبادات، فلا خلاف على جوازه بين أحد من العلماء، ونرجحه في مقام سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالأدب مُقدَّمٌ دائمًا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

وقد ألّف في هذه الجزئية السيد العلامة الشريف أحمد بن الصديق الغماري الحسني الإدريسي رسالة أسماها: (تشنيف الآذان بأدلة استحباب السيادة عند اسمه في الصلاة والإقامة والأذان) وهو موجود مطبوعٌ لمن يريد قراءته.

فهذا تقديمٌ للأدب على الاتباع، ومخالفة للأمر حفظًا للأدب.

والفرق بين المقامين واضح.

جزاء إساءة الأدب

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

جاء في تفسير ابن كثير:

قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانُوا يَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، عَنْ ذَلِكَ، إِعْظَامًا لِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا نَبِيَّ اللهِ.

وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَير.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَ اللهُ أَنْ يُهَابَ نَبِيُّهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَنْ يُبَجَّل وأن يعظَّم وأن يسود.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّان فِي قَوْلِهِ: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ يَقُولُ: لَا تُسَمّوه إِذَا دَعَوتموه: يَا مُحَمَّدُ، وَلَا تَقُولُوا: يَا بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَلَكِنْ شَرّفوه فَقُولُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ قَالَ: أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يشرِّفوه.

هَذَا قَوْلٌ. وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرَاتِ: ٢- ٥].

فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ الْأَدَبِ فِي مُخَاطَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكَلَامِ مَعَهُ وَعِنْدَهُ كَمَا أُمِرُوا بِتَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ قَبْلَ مُنَاجَاتِهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى فِي: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ أَيْ: لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّ دُعَاءَهُ عَلَى غَيْرِهِ كَدُعَاءِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ دُعَاءَهُ مُسْتَجَابٌ، فَاحْذَرُوا أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا. حَكَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَطِيَّةَ العَوفي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّان: هُمُ الْمُنَافِقُونَ، كَانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِمُ الْحَدِيثُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ -وَيَعْنِي بِالْحَدِيثِ الْخُطْبَةَ- فَيَلُوذُونَ بِبَعْضِ الصَّحَابَةِ -أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ.

وَكَانَ لَا يَصْلُحُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، بَعْدَمَا يَأْخُذُ فِي الْخُطْبَةِ.

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الخروجَ أشارَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْذَنُ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، بطلَتْ جُمعتُه.

قَالَ السُّدِّي: كَانُوا إِذَا كَانُوا مَعَهُ فِي جَمَاعَةٍ لَاذَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَتَغَيَّبُوا عَنْهُ، فَلَا يَرَاهُمْ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** ﴾، يَعْنِي: لِوَاذًا عَنْ نَبِيِّ اللهِ وَعَنْ كِتَابِهِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ: ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** ﴾ قَالَ: مِنَ الصَّفِّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي الْآيَةِ: ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** ﴾ قَالَ: خِلَافًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** ﴾ أَيْ: عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سبيلِه هو وَمِنْهَاجِه وَطَرِيقَتِه وَسُنَّتِه وَشَرِيعَتِه، فَتُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قُبِل، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ وَفَاعِلِهِ كَائِنًا مَا كَانَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

أَيْ: فَلْيَحْذَرْ وليخْشَ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ بَاطِنًا أو ظَاهِرًا ﴿ **أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ أَيْ: فِي قُلُوبِهِمْ، مِنْ كُفْرٍ أو نِفَاقٍ أو بِدْعَةٍ، ﴿ **أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا، بِقَتْلٍ، أو حَدٍّ، أو حَبْسٍ، أو نَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّه قَالَ: هَذَا مَا حدَّثنا أَبُو هُرَيرة قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ اللَّاتِي يقعن فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ ويتقحَّمن فِيهَا. قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بحجزِكم عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي وَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا**».

وفي صحيح مسلم: «**أن رجلًا أكل عند النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بشماله فقال له: كل بيمنيك، قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه**».

فدلَّ على أن من خالف السّنة تكبرًا وتعاظمًا أو استهانة بها؛ فهو حريّ بالعقوبة كما جرى لهذا الرجلِ؛ عُوقِبَ في الحال لما تكبّرَ عن اتباع السنة.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل في الصلاة قبل أن يكبر يقول: «**لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**»، يأمر الناس أن يستووا في الصفوف وأن يعدلوا صفوفهم، وفي اللفظ الآخر: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»؛ هذا يدل على أن مخالفة السنة سبب للعقوبات العاجلة، «**لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**»: يكون بينهم الشحناء والعداوة واختلاف الوجوه؛ نسأل الله العافية، فالواجب على المؤمن أن يتقي الله وأن يراقب الله وأن يحذر التكبر والتخلف عن السنة؛ لئلا يصيبه ما أصابَ المتكبرين.

ما جاء في تعظيم آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تمهيد

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

ففي مسند أحمد بن حنبل: عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ قالوا: «**يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما**».

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ قال سعيد بن جبير: «قربى آل محمد».

وفي صحيح مسلم: سُئِل ابن عباس عن هذه الآية فقال ابن جبير: هي قربى آل محمد.

وفي الكشف والبيان للثعلبي: اختلفوا في قرابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أمر الله تعالى بمودتهم، قال: عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ قالوا: «**يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما**».

جاء الشرع الحنيف بالأمر بحبّ آلِ بيتِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾، وقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية فيما رواه الإمام البخاري في (صحيحه) أنه قال: «لم يكن بَطنٌ من قريش إلا كان له فيهم قرابة؛ فقال: إلا أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم مِن القرابة». اهـ، فهذا إيصاء بقرابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمُرُه الله تعالى أن يبلغَه إلى الناس، وأمرَنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحب آل بيته رضوان الله عليهم والتمسك بهم، ووصانا بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في كثير من أحاديثه الشريفة:

فعن زيد بن أَرقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَومًا فينا خَطِيبًا بماءٍ يُدعى خُمًّا بينَ مَكّةَ والمَدِينةِ، فحَمِدَ اللهَ، وأَثنى عليه، ووَعَظَ وذَكَّرَ، ثمّ قالَ: «**أمّا بعدُ: ألا أيها النّاسُ، فإنّما أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أن يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّي فأُجِيبَ، وأنا تارِكٌ فيكم ثَقَلَينِ: أَوَّلُهما كِتابُ اللهِ فيه الهُدى والنُّورُ، فخُذُوا بكِتابِ اللهِ واستَمسِكُوا به**»، فحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورَغَّبَ فيه، ثمّ قالَ: «**وأَهلَ بَيتِي، أُذَكِّرُكم اللّهَ في أَهلِ بَيتِي، أُذَكِّرُكم اللّهَ في أَهلِ بَيتِي، أُذَكِّرُكم اللّهَ في أَهلِ بَيتِي**»، فقال له حُصَينٌ: ومَن أهلُ بيتِه يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَن حُرِم الصدقةَ بعدَه، قال: ومَن هم؟ قال: «هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرَ، وَآلُ عَبَّاس»، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقةَ؟ قال: «نَعَمْ»[1].

(١) رواه الإمام مسلم في (صحيحه).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**رأيت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القَصواءِ يَخطُبُ فسمعتُه يقول: يا أيها النّاسُ، إنِّي قد تَرَكتُ فيكم ما إن أَخَذتم به لَن تَضِلُّوا: كِتابَ اللهِ، وعِترَتِي أَهل بَيتِي**».

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحِبُّوا اللهَ لِما يَغذُوكم مِن نِعَمِه، وأَحِبُّونِي بحُبِّ اللهِ، وأَحِبُّوا أَهلَ بَيتِي لحُبِّي**»[1].

فالمسلم حقًّا يحب الله تعالى حبًّا كثيرًا، وبحبه لله تعالى أحب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان نافذة الخير التي رحِمَ الله تعالى العالمين بها، وبحبّه لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبّ آل بيته الكرام الذين أوصى بهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظمت فضائلهم، وزادت محاسنهم؛ ولذلك قال سيدنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نَفسِي بيَدِه لَقَرابةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إلَيَّ أن أَصِلَ مِن قَرابَتِي». وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «ارقُبُوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أَهلِ بَيتِه»[2].

خصوصية آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أما القول بأن النسب النبوي الكريم لا مزية له على غيره من الأنساب فهي فريةٌ؛ لا يجرؤ عليها مسلمٌ يعلم حقَّ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقَّ آلِ بيته الكرام الطيبين الطاهرين، فإن شرف آل البيت بشرف أصلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ردَّ النبي

(١) الحديثان رواهما الترمذي في (سننه).
(٢) الحديثان رواهما البخاري في (صحيحه).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المزاعم بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنقَطِعٌ يومَ القيامةِ إلا سَبَبِي ونَسَبِي**».

والمسلم مأمورٌ بتعظيم كلِّ ما عَظَّمَ اللهُ تعالى شأنَه من الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأحوال؛ والمحظور إنما هو التعظيم مع الله أو التعظيم من دون الله، ومنه الشرك المذكور في نحو قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥]، أما تعظيم ما عظمه الله فهو تعظيم بالله، والتعظيم بالله تعظيم لله.

والمغالاة لا تكون في المحبة، وإنما تكون في الاعتقاد، فطالما أن المسلم سليم الاعتقاد فلا حرج عليه في المحبة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته، فالمسلم يعتقد أنه لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدًا هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن الأنبياء معصومون، وغير الأنبياء من العِترة الطاهرة والصحابة الكرام ليسوا بمعصومين، وإنما هم محفوظون بحفظ الله للصالحين، ويجوز عقلًا وقوعهم في الآثام والكبائر، ولكن الله تعالى يحفظهم بحفظه، فطالما أن المسلم سليم الاعتقاد في هذه النواحي، فليحب أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كل قلبه، وهي درجات يرزقها الله لمن أحبه؛ فكلما زاد حب المسلم لأهل البيت ارتقى بهذا الحبّ في درجات الصالحين؛ لأن حبّ أهل البيت الكرام علامةٌ على حبّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحبّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامة على حبّ الله عَزَّوَجَلَّ.

آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
ذكرهم وصلتهم وزيارة قبورهم

ذكرهم بالصلاة والتسليم والترضي عليهم:

إنه من لم يصلِّ على آل البيت لا صلاة له، مما يبرز مكانتهم العظيمة. وإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوضح كيفية الصلاة عليه، حيث قال: إن ذلك يجب أن يتضمن الصلاة على آل بيته، مما يدل على أن آل بيته جزءٌ أساسيّ من حب الله ورسوله.

هل يجوز أن نقول بعد ذكر السيدة فاطمة الزهراء والإمام الحسين: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما) أو (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)؟

من المُقرَّر شرعًا أنَّ تكريم آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبتهم ومودتهم أمر واجب دعت إليه الشريعة الإسلامية الغراء في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِتْرَتِي، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا**»[1].

(١) رواه مسلم.

فإنَّ الدعاء لغير الأنبياء من آل بيت رسول الله وعباده الصالحين؛ كقول: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» و«رَحِمَهُمُ اللَّهُ» ونحوه أمر جائز بالاتفاق، كما أجاز كثير من الفقهاء والمفسرين إطلاق لفظ السلام على غير الأنبياء استقلالًا؛ كالحسن البصري ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان والقاضي أبي حسين الفراء وابن القيم من الحنابلة وغيرهم. وعلى ذلك: يجوز إطلاق لفظ السلام على آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن نقول: فاطمة الزهراء عليها السلام، والإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي ذلك حسن الأدب ومودتهم والبرّ لهم[1].

زيارة قبور آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

وحثّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على زيارة القبور فقال: «**زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»[2]، وفي رواية أخرى للحديث: «**فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**»، وأَوْلى القبور بالزيارة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبور آل البيت النبوي الكريم؛ لأن في زيارتهم ومودتهم برًّا وصلة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى: ٢٣].

بل إن زيارة الإنسان لقبورهم آكد من زيارته لقبور أقربائه من الموتى كما قال سيدنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»[3].

(١) فتوى رقم: ٦٩٥٠، دار الإفتاء المصرية.
(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) الحديثان رواهما البخاري في (صحيحه).

تحريم الانتساب بغير حق إلى أهل البيت رضوان الله عليهم

أشرفُ الأنساب نسَبُ نبيِّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشرف انتسابٍ ما كان إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى أهل بيتِه إذا كان الانتسابُ صحيحًا، وقد كثُرَ في العرب والعجم الانتماءُ إلى هذا النَّسب، فمَن كان من أهل هذا البيت وهو مؤمنٌ، فقد جمَع الله له بين شرفِ الإيمان وشرفِ النَّسب، ومَن ادَّعى هذا النَّسبَ الشريفَ وهو ليس من أهله فقد ارتكب أمرًا مُحرَّمًا، وهو متشبِّعٌ بما لَم يُعْط، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المتشبِّعُ بِما لَم يُعْطَ كلابس ثوبَي زور**»(١).

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة تحريمُ انتساب المرء إلى غير نسبِه، ومِمَّا ورد في ذلك حديثُ أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سَمع النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ليس مِن رجلٍ ادَّعى لغير أبيه وهو يَعلَمه إلَّا كفر بالله، ومَن ادَّعى قومًا ليس له فيهم نسبٌ فليتبوَّأ مقعَدَه من النار**»(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) رواه البخاريُّ ومسلم واللفظ للبخاري.

تحريم الصدقة على آل البيت

فقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] دالٌّ على فضل قرابةِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الذين تحرم عليهم الصَّدقة، ومِن أخَصِّهم أزواجه وذريّته، كما مرَّ بيانُه.

والآياتُ دالَّةٌ على فضائل أخرى لزوجات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوّلها: كونهنَّ خُيِّرْن بين إرادة الدنيا وزينتها، وبين إرادة الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ وأرضاهنَّ.

مُجملُ عقيدة أهل السُّنَّة في أهل البيت

عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة وسَطٌ بين الإفراطِ والتَّفريط، والغلُوِّ والجَفاء في جميعِ مسائل الاعتقاد، ومِن ذلك عقيدتهم في آل بيت الرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّهم يَتولَّونَ كلَّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نَسْل عبد المطلِّب، وكذلك زوجات النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا، فيُحبُّون الجميعَ ويُثنون عليهم، ويُنْزلونَهم منازلَهم التي يَستحقُّونَها بالعدلِ والإنصافِ لا بالهوى والتعسُّف، ويَعرِفون الفضلَ لِمَن جَمع اللهُ له بين شرَف الإيمانِ وشرَف النَّسَب، فمَن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّهم يُحبُّونَه لإيمانِه وتقواه ولصُحبَتِه إيَّاه ولقرابَتِه منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومَن لَم يكن منهم صحابيًّا فإنَّهم يُحبُّونَه لإيمانِه وتقواه ولقربه من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَرَون أنَّ شرَفَ النَّسَب تابعٌ لشرَف الإيمان، ومَن جمع اللهُ له بينهما فقد جمع له بين الحُسْنَيَيْن.

ترجمة السيدة فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

السيدة فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، والجهة المصطفوية؛ أم أبيها بنت سيد الخلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، وأم الحَسنين. مولدها قبل المبعث بقليل وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة، أو قبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد. فولدت له الحسن، والحسين، ومحسنًا، وأم كلثوم، وزينب. وروت عن أبيها. وروى عنها ابنُها الحسين، وعائشة، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وغيرهم. وروايتها في الكتب الستة.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبها ويكرمها ويسرّ إليها، ومناقبها غزيرة. وكانت صابرة دينة خيرة صينة قانعة شاكرة لله، وقد غضب لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغه أن أبا الحسن همَّ بما رآه سائغًا من خِطبة بنت أبي جهل، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها، فترك علي الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها ولا تسرى، فلما تُوفِّيَت تزوج وتسرى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

ولما توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنت عليه، وبكته، وقالت: «يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه. يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه». وقالت

بعد دفنه: «يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!».

وقد قال لها في مرضه: «إني مقبوض في مرضي هذا؛ فبكت. وأخبرها أنها أول أهله لحوقًا به، وأنها سيدة نساء هذه الأمة؛ فضحكت، وكتمت ذلك، فلما تُوُفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سألتها عائشة، فحدثتها بما أسرّ إليها. وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام إليها وقال: مرحبًا بابنتي».

ولما تُوُفِّيَ أبوها تعلّقت آمالها بميراثه، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق، فحدّثها أنه سمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا نورث، ما تركنا صدقة؛ فوجدت عليه، ثم تعلّلت**».

روى إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، قال: «لما مرضت فاطمة، أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علي: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له. قال: نعم. -قلت: عملت السنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره، قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت. قال: ثم ترضاها حتى رضيت.

تُوفِّيَت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسة أشهر أو نحوها. وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة. وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة. والأول

أصـح. وكانت أصغـر من زينب، زوجة أبي العاص بـن الربيع؛ ومن رقية؛ زوجة عثمان بن عفان. وقد انقطع نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا من قبل فاطمة؛ لأن أمامة بنـت زينب، التي كان النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحملها في صلاته تزوجت بعلي بن أبي طالب، ثم من بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، وله رؤية، فجاءها منه أولاد.

قال الزبير بن بكار: «انقرض عقب زينب».

وصـح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلّلَ فاطمة وزوجها وابنيهما بكسـاء، وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**».

وعند أحمد بن حنبل: حدثنا تليد بن سليمان: حدثنا أبو الجحاف، عن أبي حـازم، عـن أبي هريرة قـال: «**نظر النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى علي وفاطمة والحسـن والحسين، فقال: أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم**».

وعـن إسـرائيل عن ميسـرة بـن حبيب عن المنهـال بن عمرو عـن زر، عن حذيفـة: قـال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نزل ملك فبشـرني أن فاطمة سـيدة نسـاء أهل الجنة**». وروي من وجه آخر عن المنهال[1].

وعن ابن عباس مرفوعًا: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة**».

(١) والحديثان رواهما الحاكم.

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: «**ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به**» انتهى[1].

(١) سير أعلام النبلاء.

الشيعة

الشيعة من هم؟

الشيعة مذهبٌ إسلامي من جملة مذاهب المسلمين، والشيعة فرقٌ عديدة؛ منها المعتدِلُ ومنها المغالي، والشيعة الإمامية الاثنا عشرية وكذلك الزيدية جزءٌ أساسي في الأمة الإسلامية، فالزيدية بالإجمال أقربُ فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة، أما الإمامية فلا يُنسبون إلى أهل السنة والجماعة وإن كانوا من جملة المسلمين أهل القبلة الواحدة.

وفي هذا المقام يلزم التنبيه إلى أن تعميم الأحكام على جميع الشيعة دون تفرقة أو تمييز بينهم بحسب درجتهم في التشيّع ودون تفريق بين علمائهم وعوامّهم ليس من العدل والإنصاف والعلم في شيء، بل هو عين الفتنة التي يبغيها الشيطان في أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

موقف أهل السنة والجماعة من غلاة الشيعة

الطائفة الأولى التي هي طائفة الغلاة ليست على ملّة المسلمين؛ فضلًا أن تُنسَبَ إلى أهل السُّنَّة والجماعة، وأما الفرقتان الأخيرتان -الزيدية والجعفرية- فهما من أهل القبلة، ولكن لا يصح أن يقال: إنهما من أهلِ السنة والجماعة.

أما كونهما من أهل القبلة؛ فلأن ضابط أهل القبلة مُنطبقٌ عليهم، وهو المذكور فيما رواه البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلّوا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**».

قال الحافظ ابن حجر[1]: [فيه أن أمور الناس محمولةٌ على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أُجْرِيَت عليه أحكام أهله؛ ما لم يظهرْ منه خلاف ذلك] اهـ.

وأما كونهما ليسا من أهل السنة والجماعة؛ فلأنهما يعتقدان اعتقاداتٍ بدعية تخالف الكتاب والسنة، وتباين ما كان عليه الصحابة والسلف الصالح في شأن المعتقَد.

موقف أهل السنة والجماعة من الشيعة الزيدية

أما الزيدية فيقولون بخلق القرآن، وينفون رؤية الله تعالى في الآخرة، وينكرون الشفاعة، ويرون أن مرتكبَ الكبيرة مخلّدٌ في النار ما لم يتبْ توبة نصوحًا.

(١) (فتح الباري) (١/ ٤٩٦، ط. دار المعرفة).

والمتقدمون منهم يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، فعليٌّ عندهم هو أفضل الصحابة مطلقًا، ومع ذلك يصححون إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ولكن شاع الرفض في متأخريهم؛ فلا يعترفون بإمامة الشيخين[1].

موقف أهل السنة والجماعة من الشيعة الإمامية

أما الإمامية الاثنا عشرية فيقولون: إن الله يجب عليه نصب الإمام، ويعتقدون في عصمة الأئمة، وأنهم في عصمتهم كعصمة الأنبياء، وأنه يجوز لهم تخصيص النصوص العامة وتقييد المطلَقة وبيان المجملَة.

ويُنسَب إليهم أيضًا القول بالبداء في حقِّ الله تعالى؛ أي: أنه يحكم بالشيء، ثم يتبيّن له ما لم يكن عَلِمَهُ فينتقض حكمه، وينكرون رؤية الله تعالى يوم القيامة، ولهم خوض بالباطل في عدد من الصحابة الأطهار، ويقولون: إن إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ثبتت بالنّصّ عليه بالذات من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولبعض أحبارهم كلام في وقوع التحريف في القرآن الكريم، إلى غير ذلك من المسائل في الأصول والفروع.

(١) راجع: (تاريخ المذاهب الإسلامية) للشيخ محمد أبي زهرة، (ص٥٠- ٥٤، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب).

وقد أقر أئمة الشيعة ببعض هذه الأشياء؛ مثل القول بعصمة الأئمة، واعتذروا عن البعض الآخر بحمله على محملٍ آخرَ كقولهم في البداء: إنهم يعنون به المحو والإثبات، الذي في قوله تعالى: ﴿**يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ**﴾ [الرعد: ٣٩]؛ فالله تعالى قد يُنقصُ من الرزق وقد يزيد فيه، وكذا الأجل والصحة والمرض والسعادة والشقاء والمحن والمصائب والإيمان والكفر وسائر الأشياء، وكان كثير من السلف يدعون الله ويتضرعون إليه أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وهذا هو ما يسميه أهل السنة: القضاء المُعَلَّق، وعليه يُحمَل ما رواه الترمذي عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ**»، وهو بخلاف القضاء المبرَم؛ فالأول لا استحالة في رفع ما علّق رفعه منه على الدّعاء، ولا في نزول ما علّق نزوله منه على الدّعاء، وهذه القسمة باعتبار اللوح المحفوظ، لا باعتبار علم الله تعالى[1].

وكذلك ينكرون القول بتحريف القرآن، ويزيّفون قول من قال منهم به، ويجعلونه شاذًّا مردودًا؛ يقول الشيخ الصدوق [ت: ٣٨١هـ] منهم: [اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة] اهـ[2].

(١) انظر: (حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد)، (ص٢٥٤، ط. دار السلام).
(٢) نقلًا عن (الاعتقادات) للشيخ المفيد (ص٨٤، ٨٨).

أما كلامهم في الصحابة، فقد حاولوا تجميلَه والاعتذار عنه؛ بأنهم لا يقولون بعدالة جميع الصحابة ولا بكفر جميع الصحابة، بل الصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فالحجة في العدول، والترك للبغاة، والتوقف في مجهولي الحال[1].

خلاصة القول في الشيعة الإمامية:

وخلاصة القول: إن الشيعة الإمامية إخواننا في الدين وهم من جملة المسلمين أهل القبلة، ولكن لا يصح ولا يجوز أن ينسبوا إلى أهل السنة والجماعة، بل هم من طوائف الضلال والابتداع، ولكن مع ذلك فإننا نقول: إن تعميم الأحكام على جميع الشيعة دون تفرقة أو تمييز بينهم بحسب درجتهم في التشيّع، ودون تفريق بين علمائهم وعوامّهم؛ ليس من العدل والإنصاف والعلم في شيء.

وكذلك نقول: إنه يلزمنا جميعًا كمسلمين -سنة وشيعة- أن نحرّر مواطن الخلاف بيننا، حتى نقفَ على ما كان الخلاف فيه لفظيًّا فنتجاوزه، ونعرف ما كان

(١) يراجع لما سبق: (تاريخ المذاهب الإسلامية) لأبي زهرة (ص٥٤- ٦٤)، و(الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) للشيخ موسى جار الله (ط. سهيل أكاديمي بلاهور)، و(مختصر التحفة الاثني عشرية) للألوسي (ط. المكتبة السلفية)، و(أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم) للشيخ جعفر السبحاني (ط. معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج)، و(أجوبة مسائل جار الله) للشيخ عبد الحسين شرف الدين الموسوي، و(الاعتقادات) للشيخ المفيد، و(أصل الشيعة وأصولها) للشيخ كاشف الغطاء.

الـخلاف فيـه تاريخيًّا فلا نقف عنـده، فنتعاون معًا فيما اتفقنـا عليه، ونعمل على التعايش البَنَّاء بيننا.

ونؤكد على أنه يجب ألَّا تكون هذه الخلافات بين الفريقين سـببًا للحروب الطائفيـة وإراقة الدماء المعصومة بيقين من الجانبين، فالوحدة فرضٌ ديني يجب علـى الأمة كلّها امتثالـه، مع التأكيد على عـدم تذويب الحقائـق الدينية أو تمييع القضايـا المفصليّة في الأصول والفـروع بين كل طرف مـن المتنازِعَين، وكذلك التأكيـد على أنه يجـب المحافظة على خصوصية البلاد السُّـنِّيَّة، وأن الدعوة إلى دخول التشيّع فيها تحت اسم الحرية أو نحوها من الشعارات لا يجلب إلا الوبالَ والحروب الأهلية ذات النزعة الطائفية ويدمر الوحدة الوطنية، كما هو معلوم من الاطلاع على واقع الأمم والشعوب واستقراء التاريخ القديم والحديث.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم[1].

ما طريقتا الروافض والنواصب وما موقف أهل السنة منهما؟

أما الروافض فطريقتهم أنهم يبغضون الصحابة ويسبونهم إلا عليًّا غُلوًّا فيه، وأمـا النواصـب فهم الذين نصبوا العـداوة لأهل البيـت وتبرؤوا منهم وكفروهم وفسّـقوهم، وأما أهل السـنة فيتبرؤون من طريقة الروافـض والنواصب ويتولون جميـع المؤمنين ويعرفون قـدر الصحابة وفضلهم، ويرعـون حقوق أهل البيت،

(١) انتهى. فتوى رقم: ٢٣٦٨، دار الإفتاء المصرية.

ولا يرضون بما فعله المختار وغيره من الكذّابين، ولا ما فعله الحجّاج وغيره من الظالمين.

ما موقف أهل السنة والجماعة حول ما شجَر بين الصحابة؟

هو الكفّ والإمساك عما شجَر بينهم لما في ذلك من توليد العداوة والحقد على إحدى الطرفين؛ وذلك من أعظم الذنوب، والواجب علينا حبّ الجميع والترضّي عنهم والترحّم عليهم، وحفظ فضائلهم والاعتراف لهم بسبقهم، ونشر مناقبهم؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ** ﴾ [الحشر: ١٠].

الشخصية المحمدية بين البشرية والنبوة

تمهيد

فقد مَنَّ اللهُ تعالى على خلقِه أجمعين بأنْ أرسلَ رسولَه محمـدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمـةً للعالَمِين، واصطفى له أسْـمَى الصِّفات البشـرية، وهداه صِراطَه المستقيم، وحَلَّاه بالخُلُقِ العظيم، فلا أحدَ أهدى منه سبيلًا، ولا أصدقُ منه لسانًا، ولا أفصحُ منه بيانًا، ولا أطهـرُ منه نَفْسًـا، ولا أتقى منه قلبًا، ولا أعدلُ منـه حُكمًا، ولا أكرمُ منه خُلُقًا، ولا أطهرُ منه سَجِيَّة، ولا أكرمُ منه عطاءً، ولا أحسنُ منه بلاءً.

ولـم يجعلْه اللهُ مَلَكًا رسـولًا ولكـن عبـدًا رسـولًا؛ يـأكلُ الطعـام، ويمشي في الأسـواق، ويتـزوَّج النسـاء، ويفـرح كمـا يفـرح النـاس، ويضحـك كمـا يضحكـون، ويحـزن كمـا يحزنـون، ويبكـي كمـا يبكـون، لـه كامِـلُ الصِّفـات البشـرية، في أتـمِّ صـورة.

وأمـا مـن حيـث سـلوكه وأخلاقـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقـد بلـغ الكمالَ في السـلوك القويـم والخُلُـق الكريـم، فـكان أحسـنَ النـاس خلقًا، وأعزَّهـم جِـوارًا، وأعظمَهم حلمًـا، وأصدَقَهـم حديثًا، وألْيَنَهم عريكة، وأعَفَّهم نفسًـا، وأكرمَهم خيرًا، وأبَرَّهم عـملًا، وأوفاهـم عهـدًا، حتى سـمَّاه قومُـه: (الأميـن). وقـد قالـت لـه أمُّ المؤمنين خديجـةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في لحظـةٍ صعبـة مـن حياته المباركـة: «**وَاللهِ، مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛**

إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»[1].

وإن التعرّفَ على النبي وكثرةَ ذكره من أسباب نفي الشّك والارتياب عن جنابه الشريف.

العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة

وهذه العصمة هي التي عليها المناط، فبها يحصل المقصود من البعثة؛ فتبليغ شرع الله إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم فهم الواسطة بين الله وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم، فبطريقهم يهتدي البشر ويرشدون إلى دين الله؛ إذ هم المبلّغون عن الله أمره ونهيه وشرعه.

ولذلك فقد أوجب الله العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب حتى تصل الرسالة إلى العباد كاملةً تامةً غير منقوصة ولا محرفة، وبذلك تقوم الحجة على العباد.

ولقد دلّت نصوص القرآن والسنة على عصمة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الجانب، وانعقد إجماع الأمة على ذلك.

فمن القرآن:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، فالآية نص في عصمة لسانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كل هوى وغرض؛ فهو لا ينطق إلا

(١) رواه البخاري ومسلم.

بمـا يوحى إليه من ربه، ولا يقـول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملًا موفورًا من غير زيادة ولا نقصان.

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلّ ما بلغه للناس من شرع الله.

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَـا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٧]، فالآيـات نصّـت علـى أنّ اللّـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يؤيّد مـن يكذب عليه، بـل لا بد أن يظهـر كذبـه وأن ينتقم منه؛ وليس محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هـذا الجنس كما يزعم الكافرون فيما حكاه الله عنهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الشورى: ٢٤].

قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات: [والمعنى في هذا: بل هو صادقٌ راشدٌ، لأن الله عَزَّوَجَلَّ مقـرٌّ لـه ما يبلغه عنـه، ومؤيّدٌ له بالمعجـزات الباهرات والدلالات القاطعات].

٣- وقولـه تعالـى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣- ٧٥].

وهـذه الآيـات دالة على عصمـة الله وتثبيتـه لنبيـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبليغ ما أوحـى إليه، ومعناها مقاربٌ لمعنى الآيات التـي ذكرناها قبلها؛ «فقد أخبر تعالى

عن تأييده لرسوله صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمرَه ونصرَه، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه؛ بل هو وليُّهُ وحافظُه وناصرُه ومؤيدُه ومظفرُه ومظهرُ دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها».

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

١- حديث طلحة بن عبيد الله وجاء فيه قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله**».

والحديث نصّ على عصمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكذب فيما يخبر به عن الله.

٢- حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كنت أكتب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أريد حفظَه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كلّ شيء تسمعه من رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ورسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بشرٌ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: اكتبْ، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حقّ**».

قال القاضي عياض:

[وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصومٌ فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا].

ولعصمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شقان:

أولًا: عصمته من الشرك والكفر قبل بعثته ونزول الوحي إليه:

ودلت النصوص الثابتة على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصومٌ منذ نشأته من الكفر والشرك؛ فلم يُعهَد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سجد لصنمٍ أو استلمه، أو إلى غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه. فقد فطرَه الله على معرفته والاتجاه إليه وحدَه، وهذا هو المعلوم من سيرته. فمن النصوص التي يستدل بها على هذا الأمر ما يلي:

- حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثم غسله في طستٍ من ذهب بماء زمزم ثم لأمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه -يعني ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قُتِل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون، قال أنس: وقد كنت أرى أثرَ ذلك الخيط في صدره**».

فالحديث نصَّ على إخراج جبريل لحظّ الشيطان منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتطهيره لقلبه؛ فلا يقدر الشيطان على إغوائه، إذ لا سبيل له عليه. وهذا دليلٌ على تنزيهه من الشّرك منذ صغره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وعن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان صنم من نحاس يقال له: إساف أو نائلة يتمسّح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لا تمسّه، فقال زيد: فطفت فقلت في**

نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ألم تُنَهَ؟ قال زيد: فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنمًا حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه**».

وهذا الحديث نصّ في بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبادة الأوثان التي كان عليها أهل مكّة، فنهيه لزيد -الذي كان ابنَه بالتبني في ذلك الحين- يُؤكّد نفرَته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تلك الأوثان التي كان يعكف عليها أهل مكة.

ولقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحضرُ مع أهل مكة ما يقيمونه من أعياد لأصنامهم.

وقد عقد البيهقي في دلائل النبوة عنوانًا لهذا الموضوع فقال: (باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها، لما يريده به من كرامته برسالته حتى يبعث رسولا).

وكذلك السيوطي في الخصائص الكبرى حيث قال: (باب اختصاصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ الله إياه في شبابه عما كان فيه أهل الجاهلية).

الإجماع: نقل الجرجاني إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعد؛ حيث قال: [وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، ولا خلاف لأحدٍ منهم في ذلك].

وهذا هو الحق؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد نزه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكفر والشرك، وعصمه من الوقوع فيهما، وذلك داخل في باب إعداده لتحمّل الرسالة، ومثل

ذلك صيانةُ الله لنسبِه الذي تناسل منه؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطّاهرة مصفًّى مهذبًا لا تتشعّب شعبتان إلا كنت في خيرهما**».

وكل ذلك حتى لا يبقى لمنتقصٍ حجة يتعلّق بها لتنفير الناس من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن المعلوم أن كفار قريش كانوا حريصين أشدّ الحرص على تجريح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصفه بما ينقصُ من قدره ويحطّ من شأنه لتنفير الناس منه وصدهم عن دعوته، فلقد رموه واتهموه بالسحر والجنون وغير ذلك من النقائص، ولكن لم يكن الشرك والكفر من ضمن ما رموه به؛ فسكوتهم عن ذلك دليلٌ على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه، إذ لو كان لنُقِل، وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة كما حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿**مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا**﴾ [البقرة: ١٤٢].

وبهذا يتبين أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن على دين قومه من عبادة الأصنام وتعظيمها، فقد عصمه الله من ذلك؛ فلم يجعل لكفار قريش طريقًا عليه، فلذلك لجؤوا إلى تلفيق التهم الباطلة المتناقضة كاتهامه بالسحر تارةً وبالجنون تارةً، وبالكهانة تارةً أخرى.

ومن النصوص كذلك قول الله تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ**﴾ [الضحى: ٧]. فقد يتوهم البعض أن الآية تعني أن نبينا كان على ضلالٍ قبل مبعثه وهذا فهمٌ خاطئ وباطلٌ ترده النصوص التي سبق إيرادها، والتي نصّت على أن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصومًا من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان.

وقد أشار إلى بطلان هذا الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية حيث قال: [فأما الشرك فلا يُظنّ به].

وأما المعنى الصحيح لهذه الآية فقد أشار العلماء إلى عدة معانٍ صحيحة لهذه الآية تشترك جميعها في تنزيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن يُنسَب إليه شيء من الشرك أو الكفر قبل بعثته، ومن تلك المعاني ما يلي:

١- أن يفسر الضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. والمعنى أنه وجدك غافلًا عما يُرَاد بك من أمرِ النبوة.

٢- وقال بعضهم: معنى (ضالًّا) لم تكن تدري ما القرآن والشرائع، فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام.

وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وعلى هذا التفسير يكون المعنى: أي وجدك ضالًّا عن شريعتك التي أوحاها إليك لا تعرفُها قبل الوحي إليك، فهداك إليها.

٣- وقال بعضهم: معنى الآية أي وجدك في قومِ ضلالٍ فهداهم الله بك.

٤- وقال بعضهم: الـضلال بمعنى الطلب، أي وجدك طالبًا للقبلة؛ فهداك إليهـا كما في قوله تعالـى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ثانيًا: عصمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفر والشرك بعد النبوة:

بعـث الله تعالى نبيّه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعو الناسَ إلى عبادة الله وحدَه، وترك ما هم فيه من الكفر والشرك.

ولقـد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تطبيـق ما أمر به هو المثـل الأعلى الذي يُحتذى بـه. قـال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

فهـو منزّهٌ عـن كل ضلالٍ وغواية كما أخبر الله بذلـك في كتابه العزيز: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢]. فهذه شـهادة للرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه راشدٌ تابع للحقِّ ليس بضالٍّ ولا غاوٍ، بل هو صلوات الله وسلامه عليه في غايةٍ من الاستقامة والاعتدال والسّداد والهداية.

وإجمـاع الأمـة منعقدٌ على ذلك. قـال الرازي: [واجتمعـت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة].

وقـال الآمدي: [فمـا كان منها كفـرًا فلا نعرف خلافًا بين أهل الشـرائع في عصمتهم عنه].

ولم يخالف هذا الإجماع إلا من لا يعتد بخلافهم.

عصمته من الكذب في غير الوحي والتبليغ

من المعروف عن سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعدها أنه اتصف بكل خلقٍ فاضلٍ من صدق وأمانة وبرٍّ وصلةِ رحمٍ وإحسان وجُودٍ؛ إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته، وحريٌّ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون كذلك، فقد اختاره الله لحمل الأمانة العظمى التي هي أداء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة، فكان لا بد من إعداده لهذه المهمة، ولذا فقد فطره الله على كل خلقٍ فاضلٍ كريمٍ، وقد جمع الله له خصالَ الخير كلّها، فلم يكن يُدعى إلا بالأمين... ومن الأدلة التي يُستدَلّ بها على اتصافه بالصدق قبل بعثته ما يلي:

١- قول خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينما أتاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خائفًا بعد أن لقيه جبريل في غار حراء، وقال لها: «**إني قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلّا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصلُ الرحم وتصدقُ الحديث، وتحملُ الكل، وتكسبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق**».

٢- إجماع قريش على الإقرار بصدقه حينما جمعها ليصدع بالدعوة جهرًا، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطعْ أن يخرج أرسلَ رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد**

أن تغيـر عليكم أكنتم مصدقـيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقًـا. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد...» الحديث.

فالشـاهد مـن الحديـث قولهـم: «**مـا جربنـا عليـك إلا صدقًـا**»، فالنبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتزع منهم هذه الشهادة الجماعية بصدقه وانتفاء الكذب عنه، لعلمه بما قد سيقع من تكذيبهم له عند إخبارهم بأمرِ الرسالة.

٣- كذبـت قريـش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوة النبـوة؛ إلا أن أحدًا منهم لم يجرؤ على وصفه بالكذب في سواها، فقد قال أبو جهل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا لا نكذبـك، ولكن نكذب الذي جئت به، فأنزل الله تعالـى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٤- ومما يسـتدل به كذلك جواب أبي سـفيان لهرقل عندما سأله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندما أرسـل إليه في ركبٍ من قريش وكانوا تجارًا بالشـام في المدة التـي كان رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هادن فيها أبا سـفيان وكفار قريـش، فكان مما سـأله عنه: «فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال أبو سفيان: لا. فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله»[1].

(١) انتهى نقلا من كتاب: (حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته في ضوء الكتاب والسـنة)، لـ(محمد بن خليفة التميمي).

رد بعض الشبهات المتعلّقة بالذات المحمدية

تأبير النخل:

فقد أخرج مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرّ بقوم يلقحون النخل فقال: «**لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصًا (تمرًا رديئًا)، فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا.. قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم**»[1].

من فوائد الحديث:

١- أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس أن يعملوا بخبرتهم به وتجربتهم، وأخذهم بالتلقيح؛ لكونه سببًا عاديًّا، أجرى الله تعالى به سنته الكونية، كما أجرى ذلك في الحيوانات حيث تتناسل به.

٢- بيان عصمة الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخطأ فيما يبلغه عن الله عَزَّوَجَلَّ.

٣- جواز التأبير.

٤- الأصل في الأفعال العادية الإباحة حتى يرد دليل بالمنع.

---

(١) -يلقحون: التلقيح: وضع طلع الذكر في طلع الأنثى أول ما ينشق.
- لصلُح: لكان صالحًا لأن يثمر ثمرًا طيبًا.
- شيصًا: رديئًا قليلًا.

التوفيق بين وصف النبي بكاشف الغمة وبين قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾:

وصفُ النبي المصطفى والحبيب المجتبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه (كاشف الغمة) هو من أوصافه الشرعية الصحيحة الثابتة لجنابه الشريف، ولا يُعترَض على ذلك بأنَّ كاشف الغمة هو الله تعالى، لأن الله كاشفها خلقًا وإيجادًا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاشفها تسببًا واكتسابًا، ونسبة الشيء إلى سببه جائز في العقل واللغة والشرع.

وقد جمع الله ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ**﴾ [الأنفال: ١٧]؛ فأثبت الرميَ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببًا وكسبًا، ونفاه عنه خلقًا وتأثيرًا، وأثبت ذلك لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهناك فارقٌ بين اعتقاد الشيء سببًا، واعتقاده خالقًا ومؤثرًا بنفسه؛ فإنه لا خالق ولا مؤثر في الكون على الحقيقة إلا الله سبحانه، والأسباب لا تثمر المسبّبات بنفسها وإنما بخلق الله لها، وإضافة الأفعال إلى أسبابها صحيحة لغةً وشرعًا وعقلًا.

وما كان لله تعالى على جهة الخلق والتأثير جازت إضافته للمتسبب فيه على جهة السببية؛ فقد نَسَبَ اللهُ التَّوَفِّيَ إلى نفسه فقال: ﴿**ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر: ٤٢]، ونسبه إلى رسله فقال: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**﴾ [الأنعام: ٦١]، ونسب إلى نفسه الخلق والشفاء

والإحياء والإنباء بالمغيَّبات، ونسب ذلك إلى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقال على لسانه: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ونسب الرزق إلى نفسه فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، ونسبه إلى عباده تسببًا فقال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨].

ونسب إلى نفسه تفريج الكروب فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤]، ونسبه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المخلوقين؛ فقال: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

وتستوي في ذلك حياته الدنيوية وحياته البرزخية والأخروية صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باستغفاره لأمته في برزخه الشريف، فهو (كاشف الغمة) في حياته وبعد مماته؛ فقال: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُم؛ تُحدِثُونَ وَيُحدَثُ لَكُم، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُم؛ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُم، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللّهَ لَكُمْ»(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في (فضل الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

بيان الواجب اعتقاده
في أصول (والدي) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للشريعة مزيدُ اعتناء بالإشادة باصطفاء أصول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخيريتهم، وأهليتهم لحمل النور النبوي، بأدلةٍ متواترةٍ يُعلَم منها أن الحق الذي يجب اعتقادُه ولا يجوز غيرُه، وعليه جماهير الأمة خلافًا لمن زلَّ: أن والدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنان ناجيان، بل هما خلاصة أهل الإيمان؛ لأنهما لنور النبوة مستودَعان، وقد اختارهما الله لأبوة سيد الأكوان.

فهما من الساجدين الذين قال الله في حقهم: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩].

بيان الرد علِى من يزعم أن والدي النبي الكريمين ماتا على الجاهلية:

قال الإمام الماوردي[1]: [قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تأويل قول الله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ**﴾: أي: تقلبك من أصلابٍ طاهرة مِن أبٍ بعدَ أبٍ، إلى أن جعلتُك نبيًّا، وقد كان نورُ النبوة في آبائه ظاهرًا] اهـ.

وهما مِن المصطفَيْنَ الأخيار، الذين افتخَرَ بالانتساب إليهم المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فأخرج الإمام مسلم في (صحيحه) عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

(١) (أعلام النبوة)، (ص: ٢٠١، ط. دار الهلال).

ورواه الخطيبُ في (الموضح)، والدِّمياطيُّ في (معجمه) فقال: «**وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**».

وأخرج ابن سعد في (طبقاته) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ الْعَرَبِ مُضَرُ، وَخَيْرُ مُضَرَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَخَيْرُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بَنُو هَاشِمٍ، وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاللّهِ مَا افْتَرَقَ فِرْقَتَانِ مُنْذُ خَلَقَ اللّهُ آدَمَ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا**».

وأخرج الحاكم في (المعرفة) -وعنه البيهقي في (الدلائل)- والسِّلَفيُّ في (الطيوريات) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**خطب رسولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ، وَمَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنِي اللّهُ فِي الْخَيْرِ مِنْهُمَا، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَسَبًا وَخَيْرُكُمْ أَبًا**».

وجزم به الحاكم في (المعرفة) واحتج به.

وروى أبو زرعة الدمشقي عن عمرو بن قيس السَّكُوني -تابعي جليل؛ أدرك سبعين صحابيًّا أنه بلغه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اخْتَارَ اللهُ مِنَ النَّاسِ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ كِنَانَةَ، وَاخْتَارَ مِنَ كِنَانَةَ النَّضْرَ، وَاخْتَارَ مِنَ النَّضْرِ عَبْدَ مَنَافٍ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ هَاشِمًا،**

وَاخْتَارَ مِنْ هَاشِمٍ عَبْدَ المُطَّلِبِ، وَاخْتَارَ مِنْ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَبْدَ اللّهِ، وَاخْتَارَ مِنْ عَبْدِ اللّهِ مُحَمَّدًا)).

وذكره الواقدي في (فتوح الشام) من قول خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرج البزار في (مسنده)، وابنُ شاذان كما في (ذخائر العقبى) للمحب الطبري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ((**دخل ناس من قريش على صفيةَ بنتِ عبد المطلب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية، فقالت صفيةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **مِنّا رسولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقالوا: تنبت النخلة -أو الشجرة- في الأرض الكِبَا، فقالت: وما الكِبَا؟ قالوا: الأرض التي ليست بطيبة، فذكرَتْ ذلك صفيةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **للنبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فغضب وقال: يَا بِلالُ! هَجِّرْ بِالصَّلاةِ، فهجَّر، فقام** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على المنبر، فنادى بصوت فقال: أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ أَنَا؟ قالوا: أنتَ رسولُ اللهِ، قال: انْسُبُونِي، قالوا: محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلب، قال: أَجَلْ، أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَبْتَذِلُونَ أَصْلِي؟! فَوَاللهِ إِنِّي لَأَفْضَلُهُمْ أَصْلًا، وَخَيْرُهُمْ مَوْضِعًا. فلما سمعت الأنصارُ بذلك قالت: قوموا فخذوا السلاح؛ فإن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قد أُغضِبَ، فأخذوا السلاح ثم أتوا النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لا يُرَى منهم إلا الحَدَقُ، حتى أحاطوا بالناس، فجعلوهم في مثل الحَرّة، حتى تضايقت بهم أبوابُ المسجد والسكك، ثم قاموا بين يدي رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقالوا: يا رسول الله! لا تأمرُنا بأحدٍ إلّا أبَرْنا عترته، فلما رأى النفرُ من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فاعتذروا وتنصلوا،**

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **النَّاسُ دِثَارٌ، وَالأَنْصَارُ شِعَارٌ. فأثنى عليهم وقال خيرًا**». وقد استشهد بهذا الحديث جماعة من الحفاظ؛ كالسخاوي في (ارتقاء الغرف)، والسيوطي في (مسالك الحنفا).

وأخرج الحاكم في (المستدرك) عن ربيعة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**بلغ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنّ قومًا نالوا منه؛ فقالوا: إنما مثلُ محمد كمثل نخلة نبتت في كُناس! فغضب رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وقال: إِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلًا، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، ثم قال: أَنَا خَيْرُكُمْ قَبِيلًا وَخَيْرُكُمْ بَيْتًا**»[1].

وأخرج ابن أبي عاصم في (السنة) والطبراني في (الأوسط) والبيهقي في (الدلائل) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **قَلَّبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ أَجِدْ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (أماليه): [لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أنّ الخيريةَ والاصطفاءَ والاختيارَ من الله والأفضليةَ عنده: لا تكون مع الشرك][2].

---

(١) رواه الإمام أحمد وغيره عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.

(٢) من (مسالك الحنفا) للسيوطي -في (الحاوي للفتاوى) (٢/ ٢٥٦، ط. دار الفكر).

قال شيخ الإسلام البيجوري[1]: [جميع آبائه وأمهاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناجون، ومحكوم بإيمانهم، لم يدخلهم كفرٌ ولا رجس ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية؛ بأدلة نقلية؛ كقوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ أَزَلْ أَنْتَقِلُ مِن الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَاتِ إِلَى الْأَرْحَامِ الزَّاكِيَاتِ»، وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر] اهـ.

فآباؤه وأمهاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موصوفون بالسجود والاصطفاء والخيرية، وأحد هذه الأوصاف كافٍ في الدلالة على الإيمان ونفي خلافه، فكيف باجتماعها؟! وقد سلَّم الله على المصطفَيْنَ فقال: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عن الافتخار بالآباء غير المؤمنين؛ فقال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أو لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ -أي: تكبُّرها وتجبُّرها- وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»[2]، وافتخاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشرف أصوله، وخيرية آبائه، يستلزم إيمانهم؛ إذ حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفتخرَ بما نهى عنه.

قال الإمام ابن حجر الهيتمي في (الفتاوى): [إن العارف المحقق سيدي محيي الدين بن العربي [ت: ٦٣٢ هـ] قال: إن أبوي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

(١) (تحفة المريد)، (ص: ٦٨، ط. دار السلام).

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم

المصطَفَيْنَ الأخيار، ومن الأكابر الأبرار، وسندُه: ما ذكره مسلمٌ مِن حديث الاصطفاء، وما ذكره البخاري مِن حديث كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبعوثًا في خير القرون، والأحاديث الواردة في الاصطفاء والخيرية؛ فإنهما يستلزمان الإسلام، بل يدلان على عدم صدور الذنب] اهـ(١).

وسُئِل القاضي أبو بكر بن العربي [ت: ٥٤٣هـ] عن رجل قال: إن أبا النبي في النار! فأجاب: بأنّ مَن قال ذلك فهو ملعون؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧]، قال: [ولا أذًى أعظم من أن يقال عن أبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه في النار] اهـ(٢).

وقال الإمام الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي [ت: ٨٤٢هـ]:

تنقَّل أحمدٌ نورًا عظيمًا ... تلألأ في جباه الساجدينا

تقلَّب فيهمُ قرنًا فقرنًا ... إلى أن جاء خيرَ المرسلينا

وسُئِل شيخُ الإسلام قاضي قضاة الديار المصرية شيخُ الشافعية شرفُ الدين يحيى بنُ محمد المناوي [ت: ٨٧١هـ] عن والد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل هو في النار؟ فزأر في السائل زأرةً شديدة، فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال: [إنه مات في الفترة؛ ولا تعذيب قبل البعثة] اهـ(٣).

---

(١) نقلًا عن العلامة البرزنجي في كتاب (سداد الدين)، (ص: ٩٢، ط. دار الكتب العلمية).

(٢) مسالك الحنفا ضمن (الحاوي للفتاوى)، (٢/ ٢٧٩).

(٣) نقله عنه الإمام السيوطي في (مسالك الحنفا) ضمن (الحاوي للفتاوى)، (٢/ ٢٤٥). والإمام القسطلاني الشافعي [ت: ٩٢٣ه] في (المواهب اللدنية) (١/ ١١١، ط. المكتبة التوفيقية).

[والحذرَ الحذرَ مِن ذكرهما بما فيه نقصٌ، فإن ذلك قد يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن العرف جارٍ بأنه إذا ذُكِرَ أبو الشخص بما يُنقِصُه، أو وُصِفَ بوصفٍ به وذلك الوصفُ فيه نقصٌ: تأذَّى ولدُه بذكر ذلك له عند المخاطبة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْأَمْوَاتِ**». رواه الطبراني في (الصغير)، ولا ريب أن أذاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفرٌ] اهـ.

وقال إمام الشافعية في زمنه العلامةُ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ [ت: ٩٧٣هـ] في (الفتاوى): [إياك أن يسبق لسانُك إلى غير ما قلنا -يعني: من النجاة- فتكون ممن آذى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فتستحق اللعنة بنص القرآن؛ كما قدّمنا عن ابن العربي، وإذا كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمّا شكا إليه عكرمةُ بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولَ الناس: «هذا ابنُ أبي جهل»: «**لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْأَمْوَاتِ**»، هذا مع كونه أبا جهل، فما ظنك بمن يتكلم في آبائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يحطهم عن غاية الشرف والرفعة! نعوذ بالله من ذلك، ونسأله السلامة عن الخوض في مثل هذه المهالك] اهـ[1].

وصَدَرَت بذلك فتوى مفتي الديار المصرية العلامة محمد بخيت المطيعي [ت: ١٣٥٤هـ]، والتي قال فيها ردًّا على مَن زَعَم أن أبَوَي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَا مؤمنَيْنِ:

[قد أخطأ خَطأً بَيِّنًا؛ يَأثَمُ ويَدخُلُ به فِيمَن آذى رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) نقلًا عن (سداد الدين)، (ص: ٨٧) للبرزنجي.

الخلاصة:

عليه؛ فالحق الذي يجب اعتقادُه ولا يجوز غيرُه: أن والدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنان، وهما خلاصة أهل الاصطفاء والإيمان؛ لأن الله اختارهما لنور النبوة؛ فهما خير مستقَرٍّ ومستودَعٍ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم][1].

(١) فتوى رقم: ٥٨٦٣، دار الإفتاء المصرية.

ما جاء في موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من حكم الله تعالى أن خلق الموت والحياة ابتلاء لعباده واختبارًا لهم؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

وإذا كانت الحياة آيةً من آيات الله، فالموت كذلك آيةٌ أخرى تضاد الحياة، ولكنها لا تقل عنها عجبًا، قال تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٨].

والتفكّر في هذه الآية تفكّرٌ في خلقٍ من خلق الله وعجائبه، الدّال على عظيم قدرته، وعجيبِ أمره.

تعريف الموت لغةً واصطلاحًا شرعيًّا

الموت لغة: ضد الحياة، وهو بمعنى الوفاة.

و**الموت شرعًا:** مفارقة الروح البدن.

قال العلماء: الموتُ ليس بعدمٍ محْضٍ، ولا فناءٍ صرفٍ، وإنما هو انقطاعُ تعلّقِ الروحِ بالبدنِ، ومفارقتُهُ، وحيلولة بينهما، وتبدّلُ حالٍ، وانتقالٌ من دارٍ إلى دارٍ.

وهو من أعظم المصائبِ، وقد سمّاه اللهُ تعالى مصيبةً في قولهِ: ﴿ **فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [المائدة: ١٠٦].

فالموتُ هو المصيبةُ العُظمى، والرزيّةُ الكُبْرَى.

قال علماؤنا: وأعظمُ منه الغفلةُ عنه، والإعراضُ عن ذِكْرِهِ، وقلةُ التّفكّرِ فيهِ، وتركُ العمل له، وإنّ فيه وحدَه لعبرةً لمن اعتبرَ، وفكرةً لمن تفكّر.

في خبرٍ يُروى عن النبي: «لو أنّ البهائمَ تعلمُ مِن المَوْتِ ما تعلمون ما أكلتُم مِنها سميناً».

إن الموت مرحلةٌ يمرّ بها الإنسان، ومنزلةٌ يردها، وحقيقةٌ لا يتخطاها، وكأسٌ يتجرعها، ومنهلٌ يستقي منه، وللموت حكمٌ كثيرة، ففيه يتجلى كمال قدرة الله الخالصة سبحانه، وعظيم حكمته في تصريف أطوار الخلق: فهو الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم، ثم أوجده طورًا بعد طور، وخلقًا بعد خلق، حتى صار بشرًا سويًّا؛ يسمع ويبصر، ويعقل ويتكلم ويتحرك، ويسالم ويخاصم، ويتزاوج ويتناسل، يعيش على أرض الله، وينال من رزق الله، ثم بعد ذلك كلّه يميته الله تعالى؛ فلا يأكل، ولا يشرب، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يعقل، ولا يتحرك، فيزول بعد بقاء، وينتفي بعد وجود، وكلّ ذلك بتصريفِ الله وقدرته، وبالغ حكمته في خلق الأمور المختلفة، والأحوال المتضادة.

حياة البرزخ حياةٌ بين حياتين

وهنا تبدأ حياة البرزخ، والبرزخ اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين بحيث يمنع من اختلاطهما، يقول سبحانه: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

﴿بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، جعل بينهما حاجزًا. فهناك حاجز بينهم وبين الآخرة، إنها حياة أهل القبور، حياة ما بعد الموت، حياة البرزخ بين الدنيا والآخرة، تستقرّ فيها أرواح الموتى، وهي عالَمٌ روحاني لا يُقَاس ما فيه على عالم الدنيا المادي، فلا تحكمه قوانين المكان والزمان والمادة؛ بل هو عالمٌ آخر له أحواله وأسراره.

الحياة الآخرة

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

التفسير: قل -أيها الرسول- لمنكري البعث بعد الممات: سيروا في الأرض، فانظروا كيف أنشأ الله الخلقَ، ولم يتعذّر عليه إنشاؤه مبتدَأً؛ فكذلك لا يتعذر عليه إعادة إنشائه النشأة الآخرة... إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أراده.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. جاء في تفسيره لابن كثير: [ثم بيّن -سبحانه- هوان هذه الحياة الدنيا بالنسبة إلى الدار الآخرة فقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

واللهو: اشتغالُ الإنسان بما لا يعنيه ولا يهمّه... أو هو الاستمتاع بملذّات الدنيا.

واللعب: العبث... وهو فعل لا يُقصَد به مقصدٌ صحيح.

أي: إن هذه الحياة الدنيا، وما فيها من حطام، تشبه في سرعة انقضائها وزوال متعها الأشياء التي يلهو بها الأطفال؛ يجتمعون عليها وقتًا، ثم ينفضّون عنها.

أما الدار الآخرة، فهي دار الحياة الدائمة الباقية، التي لا يعقبها موت، ولا يعتريها فناء ولا انقضاء.

ولفظ (الحيوان) مصدر حيي.

سُمِّيَ به ذو الحياة، والمراد به هنا: نفس الحياة الحقّة.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون حقَّ العلم، لما آثروا متع الدنيا الفانية على خيرات الآخرة الباقية].

انتقال النبي إلى الملأ الأعلى

أجمع أهل العلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ عن ثلاثة وستين عامًا، قضى منها أربعين قبل النبوة، وثلاثة عشر عامًا بعد البعثة في مكة، وعشرَ سنين في المدينة المنوّرة بعد الهجرة، وكانت وفاته يوم الإثنين في شهر ربيع الأول، من السّنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية، وما ترك دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أمةً، إلا بغلته التي كان يركبها وسلاحَه، وأرضًا جعلها لابن السّبيل صدقة..

وكما كان يوم مولده أسعدَ وأشرقَ يومٍ طلعت عليه الشمس، كان يوم وفاته أشدَّ الأيام وحشةً وظلامًا ومصابًا على المسلمين، بل والبشرية جمعاء. وكان في وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصاياه لِلصَّحابة رضوان اللهِ عليهم وللأمة الإسلامية من بعدهم -الكثيرُ من العِبَر والعِظات، والحِكَم والأحكام الجديرة بالوقوف معها لتأمّلها والاستفادة منها في حياتنا وواقعنا.

هل صحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات متأثرًا بالسّم، وكيف حدث ذلك له؟

ثبت في الصحيحين أن يهوديةً سمَّت النبي في شاة، فأكل منها لقمةً ثم لفظها وأكل معه ثلاثة منهم بِشر بن البراء، والتي قامت بذلك زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم، وقد احتجم على كاهله، وأمر من أكل منها فاحتجم فمات بعضهم.

وهناك خلافٌ في الاقتصاص منها، كما أن هناك خلافًا في كيفية أكل النبي منها، هل مضغها ثم لفظها، أو ابتلعها. وبقي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هذه الحادثة ثلاث سنوات حتى قال في وجعه الذي مات فيه: «**ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، فهذا أوان انقطاع الأبهر مني**».

قال الزهري: [فتُوفِّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهيدًا[1]. والأبهر عرقٌ مستبطن بالصلب متصلٌ بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه، فكان ابن مسعود وغيره يرون أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات شهيدًا من السّمّ الذي تناوله في خيبر].

يقول الزرقاني[2]: [ومن المعجزة أنه لم يُؤثّر فيه في وقته، لأنهم قالوا: إن كان نبيًّا لم يضرّه، وإن كان ملكًا استرحنا منه؛ فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوّته حتى قيل: إن اليهودية أسلمت، ثم نقض عليه بعد ثلاث سنوات لإكرامه بالشهادة].

وحادث السّمّ رواه البخاري بطوله في الجزية، في باب (إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم)، وذكره في الطب بطوله أيضًا، في باب (ما يذكر في سمّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، واختصره في غزوة خيبر، في باب (الشاة التي سُمَّت للنبي)، وقيل: «**إنها أخبرته بأنها مسمومة، فقال لأصحابه: ارفعوا أيديكم**»، وكان الذي حجمه هو أبو هند أو أبو طيبة.

هذا مُجمَل ما جاء في هذه الحادثة من الروايات عن وضع السّمّ للرسول، وأنه مات متأثرًا به، فمات شهيدًا أو غير شهيد فمقام النبوة لا يعدله مقام، ويكفي أن الله نجاه من السّمّ القاتل لساعته، فكان معجزةً تصدق رسالته، والموت مكتوبٌ عليه كما هو مكتوب على غيره: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].

---

(١) زاد المعاد- خيبر.

(٢) شرح المواهب اللدنية (ج٨، ص٢٦٠).

أين غُسِّل جسد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ومن الذي قام بغسله؟ وأين ذهب ماء الغسل؟

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُسِّلَ في المكان الذي تُوفِّيَ فيه، وهو حجرة السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والذي غسله عليّ والعباس والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشُقران مولاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء السّتر، وعليّ فقط هو الذي لم يُعصب عينيه...

لحديثٍ رواه البزار والبيهقي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أوصاني النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ألا يغسلني إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه**».

يقول الزرقاني: [هو تعليل لمقدّر هو: فإني أخشى على غيرك أن تحين منه لفتة فتطمس عينه. وأما أنت يا علي فأعرف تحرزكَ من ذلك فلا أخشى عليك].

وروى ابن ماجه بسندٍ جيدٍ عن علي يرفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أنا مِتُّ فاغسلوني بسبع قرب من بئري**» (بئر غرس بقباء)، وغسل ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسّدر، والثالثة بالماء والكافور.

وذكر ابن الجوزي أنه روى عن جعفر الصادق أن الماء كان يجتمع في جفون النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان علي يشربه بفمه، وأما ما رُوِي أن عليًّا لما غسّله امتصّ ماءً من محاجر عينيه فشربه، وأنه قد ورث بذلك علم الأولين والآخرين، فقال النووي: ليس بصحيح وأقره البخاري وغيره.

هذا ما جاء في المواهب اللدنية وشرحها للزرقاني[1]، ولم أر غيره.

---

(١) ج٨، ص٢٨٩.

حياة الأنبياء في البرزخ

إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قبورهم؛ وهم أولى بذلك من الشهداء الذين ورد فيهم النص القرآني في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والإجماع على أنَّ الأنبياء أرفعُ درجةً من الشهداء، وقد رأى النبيّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيّ الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليلة المعراج يصلي في قبره، كما رآه في السّماء السادسة وقد راجعه مرارًا في أمر الصلاة.

وفي السّنة كثير من الأحاديث الدّالة على حياة الأنبياء؛ من ذلك حديث: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّون**»[1].

كما أنه قد صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[2]، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠]. فمعناه: أنَّ روحَك ستفارق بدنَك وتدخلُ في عالمٍ آخر، وحديث: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُم؛ تُحدِثُونَ وَيُحدَثُ لَكُم، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُم؛ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُم، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ**

---

(١) رواه أبو يعلى في (مسنده) والبيهقي في (حياة الأنبياء في قبورهم) من طرق متعددة من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في (سننهم) وابن خزيمة في (صحيحه) وأحمد في (مسنده).

حَمِدْتُ اللّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللّهَ لَكُمْ» رواه البزار في (مسنده) وغيره. فهو حديث صحيح ومُحْتَجٌّ به في هذا المقام وفي غيره.

وحياةُ الأنبياء في قبورهم حياةٌ برزخية لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى، ولا يجوز شرعًا أن نجول في هذا الميدان، وكلُّ ما هو مطلوبٌ منا أن نؤمنَ بحياة الأنبياء والشهداء حياةً عند ربهم هو وحدَه الذي يعلم كيفيتَها وماهيتها.

حياة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره الشريف

وهذا ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة:

من الكتاب:

قال تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ** ﴾ [الحجرات: ٧].

قال الإمام البغوي: [﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ** ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا باطلًا أو تكذبوه، فإن اللهَ يخبره ويعرّفه أحوالكم فتُفتضحوا].

وقوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال مجاهد: [هذا وعيدٌ -يعني من الله تعالى- للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستُعرَض عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول، وعلى المؤمنين. وهذا كائنٌ لا محالة يوم القيامة، كما قال: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ**﴾ [الطارق: ٩].

وقال: ﴿**وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ**﴾ [العاديات: ١٠].

وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا، كما قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لو أنَّ أحدَكم يعمل في صخرةٍ صماء ليس لها بابٌ ولا كوة، لأخرج الله عملَه للناس كائنًا ما كان**».

وقد ورد: أن أعمال الأحياء تُعرَض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قَال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أعمالكم تُعرَض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم، ألهمهم أن يعملوا بطاعتك**».

وقال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرزاق عن سفيان، عمن سمع أنسًا يقول: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أعمالَكم تُعرَض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**».

وقال البخاري: قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «إذا أعجبك حسن عمل امرئ، فقل: ﴿**ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾». انتهى من تفسير ابن كثير.

وجاء في تفسير قوله تعالى: وَقُلْ لهؤلاء المنافقين ﴿ٱعْمَلُواْ﴾ ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أي: لا بدَّ أن يتبين عملكم ويتضح، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] من خيرٍ وشرّ، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمرَّ على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه. ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أوشر، فإن اللّه مطّلع عليكم، وسيطلع رسولَه وعبادَه المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة.

ومن السنة: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً**».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**».

رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الأحاديث الواردة في رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الأحاديث الواردة في رؤية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي أحاديث صحيحة واردةٌ في صحيح البخاري؛ فقد ورد في هذا الموضوع الأحاديث التالية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي**».

وزاد مسلم: «**فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ**».

وفي رواية: «**فَقَدْ رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ**»(١).

وبذلك يكون هذا الحديث قد ورد بثلاثة ألفاظ من طرق أخرى.

فقد ورد مرةً بلفظ: «**فقد رآني في اليقظة**»، ومرةً أخرى بلفظ: «**فكأنما رآني في اليقظة**»، وفي رواية ثالثة بلفظ: «**فقد رأى الحقّ**»، وهناك روايات أخرى وردت بلفظ: «**من رآني في المنام فقد رآني**» دون لفظة في اليقظة.

وقد رُوِيَ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (سننه).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده).

وفي رواية عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَرَايَا بِي**»[1].

وفي رواية عن أبي سلمة أن أبا قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ**»[2].

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي**»[3].

الفرق بين الرؤية والرؤيا

هذا وفرق بين الرؤيا والرؤية، فالرؤيا بالألف تكون خاصة بما يُرى في المنام، أما الرؤية بتاء التأنيث فهي إدراك المرئي بحاسة البصر. وقد تُطلَقُ على ما يُدرَك بالتخيل نحو: أرى أن زيدًا سافر. وقد تُطلَقُ على التنكر النظري نحو: إني أرى ما لا ترون. وقد تُطلَقُ على اعتقاد أحد النقيضين من غلبة الظن. وقد ذكر ابن الأثير أن الرؤيا والحلم عبارةٌ عما يراه النائم في النوم من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبح.

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه البخاري.

شرح حديث:
«مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ»

نعرض الآن لشراح هذا الحديث على اختلاف رواياته فنقول:

يرى القاضي أبو بكر بن العربي أن رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن كانت بصفته المعلومة تكون إدراكًا على الحقيقة، وإن كانت على غير صفته تكون إدراكًا للمثال، ويكون إدراك الذات حقيقة وإدراك الصفات إدراكًا للمثال.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني[1] ما ملخصه: إنه قد شذّ بعض القدرية فقالوا: الرؤيا لا حقيقة لها أصلًا، كما ذكر أنه شذ بعض الصالحين؛ فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة، كما ذكر أن بعض المتكلمين يقول: هي مدرَكة بعينين في القلب، وأن معنى قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فسيراني**»: أنه سيرى تفسير ما رأى؛ لأنه حق، وقيل: معناه: فسيراني يوم القيامة.

وقد علّق الإمام ابن حجر على القول الأخير بأنه لا فائدة من هذا التخصيص -أي تخصيص الرائي برؤية الرسول- لأن الجميع سيرونه يوم القيامة؛ حيث يستوي فيه من رآه في المنام وغيره، وأن معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فكأنما رآني**» في بعض الروايات أنه تشبيه ومعناه أنه لو رآه في اليقظة لطابق ذلك ما رآه في المنام بمعنى أن تكون الرؤيا في الأول حقًّا وحقيقة، وفي الثاني حقًّا ومثالًا.

---

(١) (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) (١٢/ ٣٢٢).

قال الإمام ابن حجر: وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة، فإن رآه على خلاف صفته فهي أمثال.

هـذا وقد نقل ابن حجر عن القرطبي أنـه قد اختلف في معنى الحديث على النحو التالي:

١) قال قوم: هو على ظاهره، والمعنى: أن من رأى حقيقته في النوم كمن رآه في اليقظة سـواء، وقد ذكر الإمام القرطبي تعليقًا على هذا الرأي: بأنه فاسـد؛ لأنه يلزم منه ألا يراه أحدٌ إلا على صورته التي مات عليها، كما يلزم عليه ألا يراه اثنان في وقت واحد في مكانين، كما يلزم عليه أن يحيا الآن وأنه يخرج من قبره ويمشي في الأسـواق ويخاطـب الناس ويخاطبونه، وهذا إن تحقـق يلزم منه خلو قبره من جسده الأمر الذي يترتب عليه أن الزيارة تكون لمجرد قبره، وأن السّلام عليه عند قبره يكون سلامًا على غائب.

إلى أن قال: وهذه جهالات لا يلزم بها من له أدنى شيء من العقل.

٢) وقـال قوم: معناه: أن مـن رآه يكون قد رآه على صورته التي كان عليها، ولـم يَرق هذا الرأي عند الإمام القرطبي، فعلَّق عليه: بأنه يلزم منه أن من رآه على غيـر صفته تكون رؤياه من باب أضغـاث الأحلام، ومعلوم أنه يرى في النوم على حالـة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به، وتقع تلك الرؤيا حقًّا كما لو رُئي وقد ملأ دارًا بجسمه مثلًا، فإنها تدل على امتلاء تلك الدار بالخير.

ثـم انتهـى القرطبـي إلى القـول بأن الأولـى بنا أن ننـزه رؤياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو رؤيا شـيء منه أو مما ينسـب إليه شـيء من ذلـك؛ فهو أبلـغ في الحرمة وأليق بالعصمـة كما عُصِم من الشـيطان في يقظته، كما انتهى إلـى أن الصحيح في تأويل الحديـث أن مقصودَه أن رؤيته في كلّ حالةٍ ليسـت باطلة ولا أضغاثًا، بل هي حق في نفسـها -ولو رُئي على غير صورته- لأن تصور تلك الصورة من الله، وليسـت من الشيطان.

أما قول الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَسَـيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»؛ فقد نقل الإمام ابن حجـر العسـقلاني[1] عن ابن بطـال أن المراد بـه: [تصديق تلك الرؤيـا في اليقظة وصحتهـا وخروجها على الحـق، وليس المراد به أنه يـراه في الآخرة -كما يقول البعـض- لأنـه في الآخرة سـيراه في اليقظة مـع جميع أمته يوم القيامـة؛ من رآه في المنام ومن لم يره] اهـ.

كما نقل الإمام ابن حجر عن المازري: أن الحديث مقيَّدٌ بأصل عصره؛ لأنه يحتمـل أن الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد به أهل عصره ممن لـم يهاجر إليه، ويكون المعنى: إن من رآه في المنام من أهل عصره كان ذلك علامةً على أنه يراه بعد ذلك في اليقظـة عندما يهاجر إليه، وأن هـذه الرؤيا تكون إيحاء إليه بذلك، وقيل معناه: إنه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها.

(١) (فتح الباري) (١٢/ ٣٨٥، ط. دار المعرفة).

هـذا وقد نقل أيضًـا عن بعـض الصالحين أنهـم رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظـة بعد أن رأوه في المنام، وأنهم سـألوه عن أشـياءَ كانـوا متخوفين منها، وأنه أرشدهم إلى طريق تفريجها، وأن الأمر جاء كذلك.

وقد علّق الإمام ابن حجر على ما نُقِل بأنه مُشْكِلٌ جدًّا؛ لأمور:

١. إنـه لو صح ذلـك لكان مَـنْ رآه في اليقظة من الصحابـة، ولو كان الأمر كذلك لأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة.

٢. أن جمعًا جمًّا رآه في المنام ولـم يذكر واحدٌ منهـم أنـه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يختلف، هذا وقد أنكر الإمام القرطبي بشدة على من قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة؛ لأنه من المقرّر أن الذي يُرى في المنام أمثلة للمرئيات لا نفس المرئيات، غير أن تلك الأمثلة تارةً تقع مطابقة وتارة يقع معناها، فمن الأول: رؤيا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه: «**فَإِذَا هِيَ أَنْتِ**»؛ فقد أخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رأى في اليقظة ما رآه في نومه بعينه، ومن الثاني: المقصود به التنبيه على معاني تلك الأمور رؤيا البقر التي تنحر؛ إذ يجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا هو معنى الصورة وهو دينه وشريعته.

هذا، وقد نقل الإمام ابن حجر[1] عن المازري اختلاف المحققين في تأويل الحديث على الوجه الآتي:

---

(١) (١٢/ ٣٨٦- ٣٨٧).

١. ذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن المراد بقوله: «**من رآني في المنام فقد رآني**» أن رؤياه صحيحة وليست من باب أضغاث الأحلام ولا من تشبيهات الشيطان، ويؤيد ذلك عنده الرواية الأخرى في الحديث: «**فقد رأى الحق**».

٢. وذهب آخرون إلى حمل الحديث على ظاهره، ويكون المراد به أن من رآه فقد أدركه، ولا مانع يمنع من ذلك، ولا عقل يحيله حتى يحتاج إلى صرف الكلام عن ظاهره.

٣. وذهب القاضي عياض إلى احتمال أن يكون معنى الحديث: إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته لا على صفة مضادة لحاله؛ بمعنى أنه إن رُئي على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة، وذهب الإمام النووي إلى تضعيف ما ذهب إليه القاضي عياض، وقال: إن الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت الرؤيا على صفته المعروفة أو غيرها.

٤. وذهب الإمام الغزالي إلى أنه ليس المراد بقوله: «**فقد رآني**»، أنه رأى جسمي وبدني، وإنما المراد أنه رأى مثالًا صار آلة يتأدى بها المعنى المراد، وكذلك قوله: «**فسيراني في اليقظة**» ليس المراد به رؤية جسده وبدنه، ثم قال: والآلة تارة تكون حقيقية وتارة خيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شخصه، بل هو مثالٌ له على التحقيق.

٥. وذهب الإمام الطيبي إلى أن معنى الحديث: أن من رآه في المنام بأي صفةٍ كانت فليستبشر وليعلَمْ أنه قد رأى الرؤيا التي هي من الله لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب إلى الشيطان.

٦. وذكر الشيخ محمد بن أبي جمرة من أرباب القلوب: ومن تصورت له في عالم سرّه أنه يكلّمهم فإن ذلك يكون حقًّا، بل ذلك أصدق من مرأى غيرهم؛ لما منَّ الله به عليهم من تنوير قلوبهم. وقد علق الإمام ابن حجر على ذلك بقوله: إن ما أشار إليه ابن أبي جمرة هو الإلهام، وهو من جملة أصناف الوحي إلى الأنبياء، ولكن لم أرَ في شيءٍ من الأحاديث وصفَه بما وصفت به الرؤيا من أنه جزءٌ من النبوة، وقد قِيل في الفرق بينهما: إن المنام يرجع إلى قواعدَ مقرّرة وله تأويلات مختلفة ويقع لكلّ واحد، بخلاف الإلهام فإنه لا يقع إلّا للخواص، ولا يرجع إلى قاعدة يميز بها بينه وبين لمة الشيطان.

هذا، وقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشّرعية لا تثبت بطريق الإلهام، وقد عرف البعض الإلهام بأنه ما حرك القلب لعلمٍ يدعو إلى العمل به من غير استدلال.

هذا وقد ذهب الجمهور في حكم الإلهام أنه لا يجوز العمل به إلا عند فَقْدِ الحجج كلها في باب المباحات. وقد روى عن بعض المبتدعة أنه حجة، واستدلوا على ذلك بأدلة منها قوله تعالى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا** ﴾ [الشمس: ٨].

ومنهـا قوله تعالـى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ** ﴾ [النحل: ٦٨]، أي ألهمها حتى عرفت مصالحها ويكون هذا للآدمي بطريق الأولى، ومنها حديث: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ**»(١).

ومنهـا قـول الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوابصـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا حَاكَ فِـي صَدْرِكَ فَدَعْهُ وَإِنْ أَفْتَوْكَ**»(٢)، ووجه الاستدلال به عندَهم أنه جعل شهادة قلبه مقدمةً على الفتوى، ثم انتهوا بعد ذلك إلى أن الإلهام حقٌّ وأنه وحي باطن.

وقد رد الإمام ابن حجر على أدلة المبتدعة بقوله: إن قوله تعالى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَـا فُجُورَهَـا وَتَقْوَىٰهَـا** ﴾ معناه: عرفها طريق العلم وهو الحجج، وأن قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّـكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ** ﴾؛ فإن نفس المعنى الموجود في النحل موجود في الآدمي فيما يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش، أما حديث الفراسة فهو مُسَلَّمٌ به؛ لكننا لا نجعل شهادة القلب حجة لعدم التحقق من كونها من الله أو من غيره.

هـذا، ونقل الإمام ابن حجر العسـقلاني عن ابن السـمعاني قولـه: إن إنكارَ الإلهام مردود؛ لأنه يجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكنْ في الكتاب والسنة ما يردّه فهو مقبولٌ وإلا فلا. ونحن لا نزعم أن الإلهامَ حجةٌ شرعية، وإنما هو نورٌ يختص به الله من يشاء من عباده، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة.

(١) أخرجه الترمذي في (سننه).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده).

وقد انتهى الإمام ابن حجر إلى أنه يؤخذ مما تقدم أن النائم لو رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بشيءٍ؛ هل يجب عليه امتثاله أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ ثم قال: إن المعتمدَ هو عرضه على الشرع الظاهر.

وبعد، فهذه آراء شراح الأحاديث الواردة في الباب من أهل العلم والفكر والنظر.

الخلاصة

نخلص من ذلك إلى أن رؤية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة ممكنةٌ وليست مستحيلةً؛ فالله على كلّ شيءٍ قدير، غير أنه لا بدّ هنا من التنبيه إلى أن المرئي هو نوره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متمثلًا في جسده الشريف بحيث يظن الرائي أنه الجسم الشريف؛ لغلبة الحال وليس هو حقيقة، أما ما يقوله بعض الصالحين من أنه رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة على حقيقته بجسده الشريف وبدنه بعد أن رآه في المنام فيجب الالتفات عنه؛ لما ذكره الحافظ ابن حجر من أن ذلك لو وقع لأثبت الصحبة للرائي، ولكان باب الصحبة مفتوحًا إلى يوم القيامة، وهذا غير جائزٍ ولم يَقُلْ به أحد.

أما ما جاء بطلب الطالب من أن كل معجزة للأنبياء يجوز أن تكون كرامةً للأولياء: فهذا الكلام غير صحيح على إطلاقه؛ لجواز أن يدخل فيه معجزة القرآن؛ فالقرآن معجزةٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك لا يمكن تكريم الولي بأن يأتي

بقـرآنٍ آخر؛ لمصادمة ذلك للنّصوص القائلة بأن سـيدنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم النبيين.

أما ما جاء بالطلب من موضوع اجتماع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنبياء ببيت المقـدس والصلاة بهم فيه: فلا خلاف بين اثنين في أن ذلك كان معجزةً للرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس كلُّ معجزة لنبيٍّ يجوز أن تكون كرامةً لوليّ كما سبق القول، ولكـن بعض المعجزات يجـوز أن تكون كرامـةً للأولياء، وكرامـات الأولياء لا ينبغي لأحد التوقف في الإيمان بها؛ لأنها جائزة عقلًا، ولأنها من جملة الممكنات التـي لا تسـتحيل على القـدرة الإلهية، وهذا هـو مذهب أهل السـنة والجماعة، ولأنها واقعة فعلًا.

ومـن ذلك قصة السـيدة مريم عليهـا السلام؛ في قوله تعالـى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَـا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنـدِ ٱللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ٣٧] وفي قوله تعالى: ﴿ **وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٥]، وكان ذلك في غير أوان الرطب.

ومـن ذلك مـا رُوِيَ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى جيشـه بنهاوند ببلاد العجـم، وهـو يخطب علـى المـنبر بالمدينة، ونـادى بقولـه: «يا سـارية، الجبل الجَبل»؛ محذرًا له من كمينٍ وراء الجبل نصبَه العدو، وأن سـارية سـمع نداءَه مع بعد المسافة بينهما، وما ذلك إلا كرامات وقعت فعلًا ولا سبيلَ إلى إنكارها.

الأدلة على جواز التبرك بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد انتقاله

يجوز التبرك بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد وفاته، سواء بالتقبيل أو باللمس أو التمسح ونحوه، وسواء في ذلك ما انفصل من جسده الشريف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما استعمله من آنية أو لباس أو أدوات أخرى.

فقد ثبت عن الصحابة الكرام أنهم كانوا يصنعون ذلك في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يُنكِر عليهم، وبدنه الشريف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلّه بركة وخير، ولم نجدْ في هذا الحكم خلافًا بين العلماء؛ لكثرة الأدلة الشرعية الواردة في الباب.

ومن ذلك:

أولًا: حديث أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى إزاره للنساء اللاتي غسّلن ابنته وقال لهن: «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**»[1].

قال النووي: [الحكمة في إشعارها به تبريكها].

ثانيًا: وفي حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نزل عنده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رحلة الهجرة قال: «فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

ثالثًا: وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا»(١).

رابعًا: وقد عقد الإمام البخاري في (صحيحه) بابًا قال فيه: (باب ما ذُكر من درع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعصاه، وسيفه، وقدحه، وخاتمه، وما استَعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قِسمَتُه، ومن شعره، ونعله، وآنيته مما يَتبركُ أصحابُه وغيرُهم بعد وفاته).

وروى فيه عن عيسى بن طهمان، قال: «أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسٌ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لَهُمَا قِبالانِ، فَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ بَعْدُ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُمَا نَعْلَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا، وَقَالَتْ: فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وعَنْ عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ قَدَحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْكَسَرَ، فَاتَّخَذَ مَكَانَ الشَّعْبِ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ. قَالَ عَاصِمٌ: رَأَيْتُ القَدَحَ وَشَرِبْتُ فِيهِ».

خامسًا: كما عقد البخاري في (صحيحه) بابًا بعنوان: (باب الشرب من قدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآنيته)، وروى تحته قول أبي بُرْدَةَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: «أَلَا أَسْقِيكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ».

---

(١) رواه مسلم.

وحديث قدح سهل بن سعد الذي شرب فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال: ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ». والله أعلم.

حكم التبرك بشعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبغير ذلك من آثاره الشريفة

لقد ثبت تَبَرُّك الصحابة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وآثاره المنفصلة منه بعد انتقاله، وحتى الأماكن التي كان يتردّد عليها معروفة مشهورة في كتب السّنة والحديث، ومنها ما رواه البخاري عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّ أمَّ سليمٍ كانت تبسط للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِطَعًا، فَيَقِيل عندها على ذلك النطع. قال: فإذا نام النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذت من عَرَقه وشعره، فجمعته في قارورة، ثم جمعته في سُكٍّ». قال: فلما حضر أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة، أوصى إليَّ أن يُجعَلَ في حنوطه من ذلك السُّكّ، قال: فجُعِل في حَنُوطه.

وقد اعتنى المسلمون بشعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصًا اعتناءً شديدًا، وبآثاره الطاهرة الشريفة عمومًا. فروى البخاري عن ابن سيرين، قال: «قلت لعبيدة: عندنا من شَعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبناه من قِبَلِ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أومن قِبَلِ أهل أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: لأن تكون عندي شَعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها».

وروى ابن السَّكن عن ثابت البنانيِّ أنه قال: قَال لي أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذه شَعرة من شَعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضعها تحت لساني». قال: فوضعتُها تحت لسانه[1]، فدُفِن وهي تحت لسانه.

وروى ابن أبي شيبة[2] عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفرًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خلَا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعا، فمسحوها ودعوا.

فضل النعال النبوية الشريفة

ومن بعض ما ذكر من فضلها، وجرب من نفعها، وبركتها، أن أبا جعفر محمد بن عبد المجيد وكان شيخًا صالحًا أعطى مثالها لبعض الطلبة، فجاءه وقال له: «رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجبًا، أصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل موضع الوجع وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفاها الله للحين».

وقال أبو إسحاق: قال أبو القاسم بن محمد: «ومما جرب من بركته أنه من أمسكه عنده متبركًا به كان له أمانًا من بغي البغاة، وغلبة العداة، وحرزًا من كل شيطان مارد، وعين كل حاسد، وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق، تيسر أمرها بحول الله تعالى وقوته»[3].

(١) يُنظَر: (الإصابة في تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر (١/ ٢٧٦، ط. دار الكتب العلمية).
(٢) المصنف، (٤/ ٥٥٧، ط. دار الفكر).
(٣) الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا، وينظر: كتاب (وسائل الوصول لشمائل الرسول) لسيدي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني.

ومما أنشده ابن رشيد الفهري في نعل النبي لما زارها بالإشرافية:

هنيئًا لعيني إن رأت نعل أحمد ... فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدِ
وقبلتها أشفي الغليل فزادني ... فيا عجبًا زاد الظما عند موردِ
فلله ذاك اللثم لهو ألذ من ... لما شفة لميا وخد موردِ
ولله ذاك اليوم عيدا ومعلما ... بتاريخيه أرخت مولد أسعدِ
عليه صلاة نشرها طيب كما ... يُحب ويُرضي ربنا لمحمدِ

المتصرف في الأكوان

ما معنى تصرف مخلوق في الأكوان؟

وماذا يعني أهل الطريق بكلمة (متصرف في الأكوان)؟

لقد كثر الكلام عن تصريف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأولياء والأقطاب في الكون وانقسم الناس فيه إلى فريقين:

فريق يجيز ذلك ويدخله تحت القدرة الإلهية، ولا يرى استحالة وقوع ذلك؛ لا شرعًا ولا عقلًا.

والفريق الآخر مُنكِرٌ له مستعظم ذلك الأمر على الله؛ واصفًا كل من قال بذلك بأنه مشركٌ والعياذ بالله من ذلك الوصف الشنيع الذي لا يليق بالمسلمين، زاعمين أن ذلك تصرفٌ مع الله في ملكه وهذا هو الشرك!

وكيف ينكر إخواننا قدرة الله في أن يهب الله لمن يشاء ما يشاء؟!

ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ونسبة الفعل إلى العبد نسبة (مجاز) ليس إلا، أما الفاعل في الحقيقة فهو الله والمتصرف في الأكوان كلها حقيقة هو الله والآمر هو الله والمحرّك لكل ساكن هو الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ [الأنفال: ١٧].

وكما هو معلومٌ أنه ليس لأحد قدرة أو قوة يجلب بها مصلحةً لنفسه أو يدفع بها مصيبة عنه، وليس لأحد منا قيّوميّة على نفسه، فإن الله هو ﴿ **ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾،

ولا يصعب عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير، وعلى ذلك فمن ادعى أن له قدرةً ذاتية على أيّ فعل من الأفعال دقّ أوجلّ، أو ادعى أي تصرف له في هذه الحياة مع الله ولو رفع قشة من الأرض (كفر) عند الجميع.

وكل الذي يُقال عن الأولياء والأقطاب والأبدال من الذين ورد ذكرهم في السّنة الصحيحة من تصريفٍ في الكون هومن باب المجاز فقط، وإنما الفاعل في الحقيقة هو الله.

وكل ذلك من أفعال أجراها الله على أيديهم كرامةً لهم وتشريفًا.

وليس ذلك خارجًا عن إرادة الله تعالى، بل هو تصريفٌ يأتي وفق الإرادة والمشيئة الإلهية.

وكما قال الشيخ العلامة محمد أبو المواهب الشاذلي: [التصريف: أن يعطى للكامل إذنه فيما قلّ وجلّ من المضار والمنافع، ومن دونه يتصرف بالإذن بحسب النوازل والوقائع، ومن أعطى التصريف لا يخرج عن مشيئة الفاعل بالاختيار، ومن زعم غير ذلك حُجِبت عنه المعارف والأنوار].

وقد قال سيدي ابن عطاء الله السكندري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه في حكمه: [من نعم الله عليك أن يخلق ويُنسَب إليك].

والمجاز تعرفه اللغة العربية وتكلم به القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ [الزمر: ٤٢] ونسب الله الفعل هنا إلى نفسه.

وفي آيـة أخرى قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ ۞قُـلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَـوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١] فنسب الفعل هنا إلى ملك الموت.

فتارةً يرجع الله الفعلَ إلى حقيقته فينسـب إلى نفسـه، وتارة ينسـبه إلى أحدٍ من مخلوقاته مجازًا كما ذكرناه، وتارةً ينسـبه إليه وإلى أحد من مخلوقاته كما في قولـه تعالـى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَـا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١] فنسـب هنا الفعل إليه وإلى رسـله معًا، إلى نفسه من باب الحقيقة وإلى رسله من باب المجاز، وهذا مفهومٌ للعقلاء لا المتبلّدين.

وقد قال به الأنبياء والرسل كما ورد عن سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْـفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] فنسـب الفعل إلى نفسـه، ولم يقل إذا أمرضني الله؛ مع إنه لا فعلَ لأحدٍ مع الله، وإنما قال ذلك تأدبًا مع الله تعالى.

وقال بذلك الملائكة أيضًا، تأمّل الآية: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُـولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَـكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّـا ﴾ [مريم: ١٩] فهل سـيدنا جبريل هو الـذي يهب الـغلام، أم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

والصواب أن الفاعل حقيقة هو الله تعالى، وإنما نسبة الفعل إلى المَلَك من باب المجاز فقط.

وهكـذا يـأتي ذلـك من بـاب الإكـرام الإلهـي لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تسـموا باسمي، ولا تكنّوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم**»[1].

(١) رواه مسلم.

فمن هو القاسم، الله أم هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

وروى الإمام الترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُبّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء بن مالك**».

وقال الإمام النووي في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أقسم على الله لأبرّه**» أي لو حَلَفَ على وقوع شيء، أوقعَه الله إكرامًا له، بإجابة سؤاله، وصيانته من الحِنث في يمينه، وهذا لِعِظَم مَنْزِلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس.

وقيل: معنى القسَم هنا: الدعاء، وإبراره: إجابته.

وفي الصحيحين أن الرُّبَيِّع كَسَرَتْ ثنيّة امرأة، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقصاص، فقال أنس بن النّضر: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا تُكسَر ثنيتها، فرضوا بالأرش وتركوا القصاص، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه**».

فانظر إلى هذا الصحابي كيف أقسم على الله ألا تكسرَ ثنية الربيع، فأبرّ الله قسمه!

فإذا علمت هذا علمت أنهم عبادٌ مكرَمون عند الله فلا يُرَد لهم طلب ولا يُكسَر لهم خاطر، فالله تعالى له عباد أخلصوا له فأحبهم وأورثهم الأرض واستخلفهم فقل للمعترض عليه: ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والشواهد والأمثلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة فنورد منها نزرًا قليلًا:

فقد أورد لنا القرآن قصة سيدنا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكان متصرفًا في الكون؛ فكانت الريح تجري بأمره غدوًا وعشيًّا، ويأمرها فتمتثل له بأمره، فهل كان بذلك شريكًا مع الله؟ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. ولقد سُخِّر له الجن يفعلون له ما يشاء، وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُكلّم الطير والنمل والدواب، وأوتيَ ملكًا عظيمًا، وكان يأمر الطيور بما شاء فتستجيب إلى أمره، ويعذب من يشاء إذا لم يطع أوامره... أليس هذا تصريفًا في الكون؟! نعم قد صرّفه الله في الكون بإذنه.

وقد أكرم الله هذه الأمة بأن جعل فيها من يأمر الريح فتمتثل أمره كما نقل عن سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام أنه قال في حروب المسلمين مع الفرنجة: يا ريح خذيهم، فأخذتهم الريح حتى قيل: إن الله لم يزل يُكرم هذه الأمة حتى كان منها من سُخِّرَت له الريح[1].

وكما أخبرنا القرآن الكريم عن قصة الذي ﴿عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وقيل هو آصف بن برخيا الذي كان مع سيدنا سليمان، وأنه أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل ارتداد الطرف، أي: في ثوانٍ معدودة، وانظر إلى قول آصف: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾.

(١) انظر: (طبقات الشافعية الطبقة الثانية).

فقد أوجد سيدنا آصف العرش وأعدمه من محله دون أن يتحرك! ومع أن الإيجاد والإعدام من صفات الله فقط!

ولكن يأذن الله لمن يشاء ويحكم بما يريد، فهل أشرك سيدنا آصف بالله ونسب الإتيان بعرش بلقيس لنفسه؟! حاشا وكلا فإذا أجرى الله هذا التصريف العجيب على أحد من أمة سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، أليس ذلك بقادرٍ على أن يجعله في خير أمة أُخرِجَت للناس؟! ﴿ **فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [يونس: ٣٥].

إن هذا تصريفٌ واضح لآصف وضوح الشمس في كبد السماء، فقد صرّفه الله في كونه وأعطاه الله تعالى اسمَه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سأل به أعطى(١).

وما قصة العبد الصالح -وهو سيدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ- عنكم ببعيد، فهي أكبر شاهدٍ ودليل على قولنا، فقد كان سيدنا الخضر يتصرف في الكون يمينًا وشمالًا؛ فخرق السفينة، وقتل الغلام، وبنى جدار اليتيمين. وقال بعد ذلك ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى** ﴾ [الكهف: ٨٢]! فدل على أن الله قد جعل له تصريفًا في كونه وأمره بفعل ذلك، وإلا فلماذا يرسله الله ليفعل تلك الأشياء التي كانت مجهولة لكليمِه عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! ألم يكن الله قادرًا على أن يفعلها وحدَه؟! ألم يكن قادرًا على تكليف الملائكة بإنجاز هذه المهام؟!

نعم، يفعل الله ما يشاء ويختار.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي.

بل ما خفيَ أعظم، فلو استمر سيدنا موسى معه لكشف لنا الكثير والكثير كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحتى لا نعطي صلاحية القدرة الإلهية لما يريده عَزَّوَجَلَّ بعقولنا القاصرة ينبغي علينا أن نتمعنَ فيما صنعه العلم الحديث، فأنت في مكانك ترى وتسمع وتخاطب العالم كلّه بأجهزة صنعها بشرٌ وغير مؤمن، فكيف بصنع العليم الحكيم؟!

وقصة سيدنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخبر الناس بما يدخرونه في بيوتهم، ويخبرهم بما طعموا من قبل، وما إلى ذلك من الأفعال التي لا يفعلها إلا الله تعالى.

فإذا كانت في حق سيدنا عيسى معجزة، كانت في حق الولي كرامة، كما نصَّ على ذلك العلماء حينما قرروا: «أن كل ما جاز أن يكون معجزةً لنبي جاز أن يكون كرامةً لولي».

وكذلك ما ورد في القرآن الكريم من أن سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يدعو الموتى فتستجيب له وتأتيه سعيًا. قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا** ﴾ [البقرة: ٢٦٠] مع الملاحظ أن الذي يدعو هو سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!

وها هو العلامة ابن الجوزيّ يروي لنا قصة سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكيف قتل قارون، فقد أمر سيدنا موسى الأرض أن تأخذه وتبتلعه فأمرها قائلًا: «يا أرض خذيه»، فابتلعته بقصره وخزائنه واستجابت الأرض لأمره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فأمر سيدنا موسى الأرض ولم تعصِ أمرَه!

وكذلك ما رواه الإمام الحافظ ابن كثير عن سيدنا عمر بن الخطاب وأمره لنيل مصر أن يفيض، ففاض واستجاب لأمره حينما كتب له عمرو بن العاص كتابًا في القصة المعروفة؛ فكتب له سيدنا عمر بن الخطاب خطابًا قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى نيل مصر. السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد...

فإن كنت تفيض من عندك فلا تفضْ، وإن كنت تفيض من عند الله ففضْ».

وأمر عمرو بن العاص أن يلقيها في النيل، ففعل، وفاض النيل، وأبطلت من يومئذ تلك العادة السيئة، فشاهدنا هنا من هذه القصة هو أمر سيدنا عمر لنيل مصر أن يفيض واستجابة النيل لأمر الخليفة الذي هومن أكابر الأولياء وفاض.

والغريب في الأمر أن المعترض يرى بنفسه أنه متصرف في هذه الحياة وأنه يمكنه فعل الكثير من الأفعال، وأن الحكام والملوك والرؤساء يتصرفون في بلادهم كيفما أرادوا، فنجدهم يقلدون المناصب العليا من وزارات وسفارات لأحبابهم المقربين لديهم، وينزعون الحكم عمن أرادوا نزعه ويقتلون البعض، ويعتقلون البعض الآخر في السجون والمعتقلات ويصدرون القرارات ويسنون القوانين في البلاد وإلى غير ذلك من التصرف الظاهر وغير الخفي على أحد.

فإن قال المعترض بأن هؤلاء يتصرفون بقدرتهم من دون الله فقد كفر والعياذ بالله، وإن قال بالقوة المودعة فسق، وإن قال: إن هذه الأفعال أفعال لله أجراها

علـى أيديهم فقط؛ قلنا كذلك ما يظهر على أيـدي الأنبياء والأولياء فهو أيضًا من هذا القبيل، ولا يتعداه، قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات: ٩٦].

فكيـف تثبـت تصريفًا لأهـل الظاهر وتنكـر تصريف أهل الباطـن، والكل مخلوق وليس فيهم خالق؟!

فلو قال المعترض:

ولكـن أهـل الظاهر يتصرفـون بما جعله الله عـادة لهم ولغيرهـم في الدنيا، وتصرف الأولياء ليس عادة عندنا!

قلنـا له: إن الله قـادرٌ على خرق العادات للأنبيـاء والأولياء، وكيف لا وهو ربّ العـادات وخوارق العادات، فتصريـف الأولياء في الكون من باب الكرامات وخرق العادات، و(الكرامـة) أمرٌ خارق للعادة يظهره الله على أيدي الأولياء كما هو معروف.

وإن مثـل هـذه المرتبـة العظيمة التي يبلغهـا الأولياء إنما هـي ثمرة الطاعة التامة والمحبة الخالصة لله تعالى، والتي إذا وصلها أطاعته الأشـياء لطاعته التامة لله تعالـى، وأيضًـا لأنهم ورثة رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في علمه وحلمـه والتخلق بأخلاقه والتأسّي بسنته حقيقة لا اكتفاء ببعض الظواهر خديعة للعوام.

السند

(السـند) أن تشـير إلى الرجال الذين نقلـوا العلم من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام حتى يومنا هذا.

فـكل شـخص روى كلامًـا ينسـبه إلـى الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بـد أن يذكر كيف وصل إليه هذا الكلام، لذلك يسـند كلامه إلى الشـخص الذي سمع عنه، وهذا بدوره يكون قد سـند الرواية لشـخص قبله، وهكذا وصولًا إلى التابعين ثم الصحابة ثم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معنى السند في القرآن الكريم

والسـند المتصل في القرآن الكريم هو شرط من شروط الإجازة، فمن لديه إجازة بسـند متصل إلى الرسـول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو فقط الذي يسـتطيع أن يجيز غيره وإلا انقطع السند.

وبنـاءً علـى ما سـبق، فـإن حفـظ القـرآن الكريـم بالسـند المتصل يشـير إلـى الحفـظ والإجـازة علـى يـد شـيخٍ حاصـل على إجـازة بسـندٍ متصـلٍ إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معنى السند في السنة النبوية

السند أو الإسناد: في سياق علم الحديث هو سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحدًا عن الآخر، حتى يبلغوا به إلى قائله، بعبارة أخرى؛ فالسند هو الطريق الموصل إلى متن الحديث، والسند في اللغة: ما ارتَفع من الأَرض في قُبُل الجبل أو الوادي، **والسند**: المعتمد، وسُمِّيَ كذلك لأن الحديث يستند إليه ويعتمد عليه.

شروط صحة السند

للحكم بصحة السند شروط وهي:

١. اتصال السند.

٢. عدالة كل راوٍ من رواة السند.

٣. ضبط كل راوٍ من رواة السند.

٤. سلامة السند من الشذوذ.

٥. سلامة السند من العلة.

فإذا استوفى السند هذه الشروط صار سندًا صحيحًا، ويبقى استيفاء المتن لشروط الصحة حتى يُحكَم على الحديث بالصحة.

أقسام السند

يُقسم السند بشكل عام إلى قسمين رئيسين وهما:

السند المتصل:

السـند المتصل هو السند الذي فيه كل راو من رواته أخذ الرواية ممن فوقه حتى ينتهي إلى قائله، دون أن يسقط بينهم أحد الرواة.

ويُمثّل الاتصال أحد شروط صحة السند.

● مثاله:

مـا رواه البخـاري، قال: حدثنا عبد الله بن يوسـف، قـال: أخبرنا مالك عن نافـع عـن ابن عمر، أن رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قـال: «**الذي تفوتـه صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله**».

فنجد أن سـند هذا الحديث قد نقل كل راو من رواته عمن يليه حتى وصل إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو على الشكل التالي:

البخاري ← عبد الله ← مالك ← نافع ← ابن عمر ← رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقد تُسـتخدم بعض المصطلحات في سياق السند المتصل لتُفيد مع اتصال السند وصفًا آخر لهذا السند، كوصف عارض له أو كوصف بيان كيفية الاتصال، ومن هذه المصطلحات:

المسند:

يُفيد مصطلح الحديث المسـند أن السـند متصل، وأن الحديث مرفوع، أي أن القائل هو رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومثاله الحديث السابق، والحديث المسند يكون على الشكل التالي:

سند متصل + متن مرفوع ← حديث مُسنَد.

سلسلة الذهب:

سلسلة الذهب تشير لأصح الأسانيد على الإطلاق، ويرى البخاري أن أصح الأسانيد ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر، ومثاله الحديث السابق، وفي ذلك يقول العراقي في ألفيته:

إمساكنا عن حكمنا على سند ... بأنه أصح مطلقًا، وقد
خاض به قوم فقيل: مالك ... عن نافع بما رواه الناسك
مولاه واختر حيث عنه يُسند ... الشافعي قلت: وعنه أحمد

السند العالي والسند النازل في علم الحديث:

يُفيد مصطلح السند العالي اتصال السند وقلة عدد رواته، أي قرب المسافة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

● مثاله:

ما رواه البخاري قال حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

فهنا نرى أنه قد توسط بين البخاري وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة رواة فقط، فهو حديث عال.

البخـاري ← مكـي بن إبراهيـم ← يزيد بن أبي عبيد ← سـلمة بن الأكوع ← رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وعكسـه مصطلح السـند النازل الذي يُفيد اتصال السند وكثرة عدد رواته، أي بعد المسافة عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

السند المسلسل:

مصطلح يُفيد أن السند متصل، وأن الرواة تناقلوا الرواية عن بعضهم البعض بهيئـة تحاكـي هيئة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أثنـاء قوله، وذلك يقـوي معنى الاتصال في الحديـث، إذ إنهـم لم يقتصـروا على نقل نـص كلام النبي، وإنما تجـاوزوه لنقل هيئته أثناء كلامه.

● مثاله:

ما رواه البخاري، قال: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسـى؛ أن رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه**».

معنى ضبط الصدر

ضبط الصدر: هو أن يعي الراوي ما يسـمع جيـدًا، فيحفظه عن ظهر قلب، ويستطيع استحضاره متى طُلِب منه ذلك.

إن حفـظ الراوي جيدًا حتـى إذا طُلِب منه ذلك أداه كما سـمعه، ثم بعد أن تقدم به السـن أنكر أن يكون قال هذا القول؛ رُدَّ إنكاره بشـرط أن يكون المتحمّل عنه ثقة، أي: أن يكون عدلًا ضابطًا، وإن كانت هذه الرواية قد تحمّلها غير واحد إما لفظًا وإما معنى عن ذلك الشـيخ؛ ففي هذه الحالـة لا يُعَدّ إنكاره ولا يُعتبَر به، ويُعتبَر في غير هاتين الحالتين، والله تعالى أعلم.

ومما يطرأ على ضبط الصدر ويؤثر عليه: فحش الغلط، والغفلة، والوهن، والمخالفة للثقات، وسوء الحفظ.

وفحش الغلط هو كثرة الأخطاء، أي: أن يكثر خطؤه حتى يكون هو الغالب على حديثه، وهذا يُعرَف بمخالفته للثقات.

والوهن هو: أن يروي الراوي حديثًا على سبيل الإيهام؛ لا التحقق والتأكد.

وهذه كلها مجرّحات تؤثر في ضبط الراوي.

معنى ضبط الكتاب

النـوع الثاني مـن الضبط ضبط الكتـاب، وهو ألا يعتمد الراوي في سـماعه للحديث على صدره وقلبه، وإنما يعتمد على ما كتبه بعد شيخه.

فضبط الكتاب أن يكتب الراوي ما يسمعه من الشيخ في كتاب أو في صحيفة.

ويُشتَرَط لمن كانت هذه صفته شروط:

الشـرط الأول: أن يقابـل أو يراجـع هذا الكتاب على نسـخة الشـيخ الذي سمعه منه؛ حتى يقرَّه الشيخ على صحة سماعه وكتابته.

فربمـا يكـون ذلك الرجل الذي كتب خلف الشـيخ تصحّف عليه السـماع وكتبه في كتابه مصحفًا، أو تحرّف عليه السماع وكتبه محرّفًا.

الشـرط الثاني: إذا لم يكن عند الشـيخ وقت للمراجعة أو لم يوافق الطالب على مطلبه، أو كان الشيخ سيئَ الخلق، أو حادّ المزاج، ويهاب أن يُطلب منه هذا الطلـب -وهـذا موجود بكثرة في السـلف- فعلى الطالب أن يراجع نسـخته على نسخة أقرانه.

وإذا لـم يكتـب أحدٌ غيـره فلا مانع أن يراجـعَ مكتوبه على مسـموع غيره، فليس بلازمٍ أن تكون المقابلة على مكتوب، بل يمكن أن تكون على مسموع.

الشرط الثالث: أن يحافظ على هذا الكتاب من كل ما يتلفه من حرق وغرق وإتلاف وإفسـاد، وغير ذلك مـن الأمور التي تطرأ وتفسـد الأوراق، فإذا تعرّض الكتاب لما يتلفه فلا بد وأن يتوقف الراوي عن الرواية.

الشرط الرابع: أن يحدث الراوي وقت التحديث من الكتاب لا من حفظه.

وسائل النصرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الدّفاع عـن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب الواجبـات الدينية، وهو أعظم قربة يمكن للمسلم أن يتقرب بها إلى الله سبحانه، والله تعالى إنما ينصر المسلمين عندما ينصرون نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقـد علمنا الله تعالى أن نصرة النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما تكون بتطبيق منهجه القويم في المنشط والمكره وفي السلم والحرب، وعلمنا أن من أكبر مظاهر النصرة لرسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ننصرَه في أنفسـنا بالثبات على المبـادئ والمثل والقيم. وعلمنا أن يكون نصرنا بنَاءً لا هدْمًا، وألا ننشغل في ردود أفعال غير محسوبة تهدم ما يبنيه المسلمون من جسور التواصل مع العالمين، وأن تكون هذه الإساءة دافعًا لنا إلى الثبات على الحق، والاستمرار في تحقيق مراد الله تعالى من خلقه بالعبادة والعمارة والتزكية.

كيفية نصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
على مستوى الفرد

هناك العديد من الأمور التي تُوضّح دوْر الفرد المسـلم في نصرة رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما يأتي:

١. التفكُّر في الدلائل الواردة في القرآن الكريم والتي تُشـير إلى صدق نبوّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتجزم بأنّه رسولٌ من ربّ العالمين.

٢. التفكّر في الإحسان الذي قدّمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكلّ فردٍ من أفراد أمّته بتبليغه رسالة الله تعالى ودينه بأتمّ وأكمل تبليغ. مع العلم بأنّ الله تعالى تكفّل بحفظ سنّة نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بأن مكّن أهل العلم من جمعها وبيان الصحيح والضعيف منها وِفق قواعد وأصول تميّزت بها الأمّة عن سائر الأمم.

٣. العلم بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة التي تدلّ على المنزلة العظيمة التي حظِيَ بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربّه وما خصّه به من المحبّة والتكريم.

٤. تذكّر كمال الصفات الخَلقيّة والخُلقيّة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ممّا يَبثُّ في النفس مشاعر محبّته والشوق لرؤيته.

٥. تذكّر رأفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمّته وأنّه الأحرص عليها والأرحم بها، لقول الله تعالى: ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٦].

٦. تذكّر جمال رفقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنّة لمن ثابر على محبّته وسعى في تحقيقها وِفق الوجه الصحيح، لما رواه البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «**فما فَرِحْنَا بشيءٍ، فَرَحَنَا بقَوْلِ النبيِّ: أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ**».

٧. طاعة أمر الله تعالى في وجوب محبّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقديمها على محبة النفس والأهل، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

٨. طاعة أمر الله تعالى في وجوب التّحلّي بالأدَب مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترام سنّته، لقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ**

صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٢- ٣].

٩. طاعة أمر الله تعالى في وجوب الدفاع عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممّا يُحاك له من ضروب الأذى المختلفة، وردّ كل نقصٍ أو عيبٍ يُنسَب إليه، لقوله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩].

١٠. والمحافظة على استدامة النيّة الصادقة في نصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. المحافظة على الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل وقتٍ وحينٍ؛ كحال ذِكره، ويوم الجمعة، وبعد الأذان، لِنيل الثواب الذي أعدّه الله تعالى على ذلك، وتقديرًا لمكانة النبيّ وفضله العظيم على المسلمين.

١١. الحرص على الالتزام بسنّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعلّمها، وذلك من خلال: قراءة الصحيح منها، وبذل الجهد في فهمها، واستخلاص ما تضمّنته من حِكَمٍ وأخلاقٍ وعقيدةٍ. الحرص على محبّة واحترام أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجزم بأفضليّتهم علمًا وعملًا ومنزلةً عند الله تعالى على كلّ من سِواهم ممّن جاء بعدهم. الحرص على محبة واحترام علماء الأمّة لا سيما وأنّهم ورثة الأنبياء. بذل الجهد في الاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطاعات المستحبّة؛ لِنيل شرف الاقتداء به في سائر الأمور. تجنّب الاستهزاء والسخريّة بسنّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو محاولة انتقاده وسنّته والتقليل من شأنهما، وبُغض من يفعل ذلك. انغمار

القلب بمشاعر الفرح والبهجة حال انتشار سنّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الناس، والشعور بالحزن والألم حال فقْد بعضها في حياة الناس. التّقرّب إلى الله تعالى بمحبّة آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من أزواجٍ، وذريّةٍ، وأقاربَ؛ لِما امتازوا به من شرف قرابتهم منه، وبذل الجهد في تنفيذ ما وصّى به في حقّ آل بيته، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

١٢. التّعرّف إلى الأدلة الواردة في كلٍّ من القرآن الكريم والسنّة والإجماع التي توجب طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتّباع أمره واجتناب نهيه وتَحثّ على الاقتداء به. نسبة خيرَي الدنيا والآخرة الذي يُوفَّق إليهما المسلم إلى الله تعالى، ومن ثمّ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من أرشد العباد إلى طريق الهِداية والصلاح والفلاح.

١٣. الاهتمام بالسّيرة النّبويّة الصحيحة؛ وذلك من خلال قراءتها، وأخذ العبرة والفائدة من مواقفها، والسّعي لربط أحداثها بالحياة الواقعية.

ولا بدّ من الإشارة إلى دور المرأة في نصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لا سيما أنّه دافَع عن كامل حقوقها وأثبتها لها، وقد خصّها بالاهتمام والعناية بمنحها وقتًا ليس بالقليل من حياته لتعليمها الأمور الخاصّة بها؛ كأحكام الطهارة من الحيض والنفاس والجنابة، وما يتعلّق بالنكاح، والطلاق، والعِدّة، والحضانة، والأخلاق، وغيرها، ممّا يُحتّم عليها نصرته بحبّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء به في عبادته وأخلاقه، وتربية أبنائها على سنّته ونهجه ومحبّته، ودعوة النساء وحثّهنّ على ذلك.

كيفية نصرة النبي
على مستوى الأسرة والمجتمع

هنـاك العديـد من الأمـور التـي توضّـح دور الأسـرة في نصرة رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما يأتي:

١. غرس محبّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفوس الأبناء، وحثّهم على الاقتداء به. جمع وامتلاك كل ما يحوي السيرة النبويّة ويتحدّث عنها واقتناؤها؛ من كتبٍ، وأشرطةٍ، وأفلامٍ كرتونيّةٍ، وغيرها.

٢. جمع الأسرة لسماع درسٍ أو أكثر حول السيرة النبويّة أسبوعيًّا، وتشجيع الأبناء من خلال عمل مسابقاتٍ عن سيرة الرسول.

٣. حـثّ الأبنـاء على كفالـة اليتيم ومسـاعدة الفقير والمسـكين بجزءٍ ممّا ينالونـه مـن المصروف اليوميّ؛ عـملًا بالأحاديث التي تحثّ علـى ذلك واقتداءً برسول الله.

وحثّ الأبناء على حفظ الأمثال والحِكَم النبويّة، والاعتياد على استخدامها، كقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وسَكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا**».

٤. حفـظ الأذكار النبويّـة، وبذل الجهد في بثّ روح الحماسـة لدى الأبناء لفعل ذلك.

ومحافظـة الـزوج علـى المعاملـة الحسـنة مـع أهل بيتـه؛ مقتديًـا في ذلك برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كيفية نصرة النبي على مستوى الدعاة وطلبة العلم

هنـاك العديـد من الأمـور التي تُوضّـح دور الدعـاة وطلبة العلـم في نصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما يأتي:

١. العمل على توضيح ملامح دعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال إبراز سماتها وأهم أهدافها؛ وهي دعوة كافّة الناس إلى إفراد الله تعالى بالعبودية.

٢. العمل على تذكير الناس بأهمّ المواقف والأحداث من سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مـن خلال إفـراد خطبة جمعـةٍ كاملة لذلك، أو الخطبـة الثانية منها للحديث عن ذلك من حينٍ إلى آخر.

٣. العمـل على إقامة وتخصيص حلقاتٍ في المسـجد تُعنى بتحفيظ السـنّة النبويّـة. والاهتمام بتوضيح الصفات الخَلقية والخُلقية لرسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الرسالة وبعدها، والإشارة إلى منزلته العظيمة وما امتاز به وأمّته.

٤. الاهتمام بتوضيح كيفية تعامل رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهله وجيرانه وأصحابـه رضـوان الله عليهـم، والإشـارة إلـى أهـمّ المواقف والأحـداث التي جمَعته معهم.

٥. الاهتمام بتوضيح الوسائل التي اتّبعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع أعداء الدين والإسلام من المشركين والمنافقين وغيرهم.

٦. الاهتمـام بالآيـات القرآنيـة التـي يكـون مـدار حديثها عن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بتخصيصها بالشـرح والبيان، سـواء قُرئت في الصلاة، أو في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، أو في مجالَي التعلّم والتعليم.

٧. الاهتمام بنشر الفتاوى التي تُعنى ببيان حكم نِسبة شيءٍ من النقص إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووجوب مواجهة من يحاول أو يفعل ذلك بالبُغض والبراءة منه. وبذل الجهد في تمهيد طريق الهداية ودعوة الناس إليه على اختلاف أعراقهم وأنسابهم.

٨. بذل الجهد في الدفاع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بردّ الشبهات والأكاذيب التي تُحَاك حولَه وحول سنّته.

٩. الحرص على توضيح معالم الحياة اليومية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان أسلوبه وطريقته فيها.

والحرص على دعوة الناس في وسائل الإعلام المختلفة بتجنّب الغلوّ في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتذكير بالآيات الداعية لذلك، كقوله تعالى: ﴿**لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**﴾.

والإشارة إلى أنّ المحبة الحقيقية له تكمن في اتّباع أمره واجتناب نهيه.

١٠. المحافظة على الأسلوب البسيط في حثّ الناس على التّمسك والالتزام بسنّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبذل الجهد في تصحيح الأفكار الخاطئة التي تُنسب إليه ولسنّته الشريفة وتدور في أذهان الناس. وتشجيع الناس وحثّهم على الاهتمام بسيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقراءتها والحرص على المصادر الأصلية لها.

كيفية نصرة النبي
على مستوى قطاع التعليم والعاملين فيه

هنـاك العديد من الأمور التي تُوضّح دور العاملين في قطاع التعليم في نصرة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما يأتي:

١. العمـل على بيان حقّ رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضله العظيم على أمّته، ممّا يغرس محبّته في نفوس الطلبة والطالبات.

٢. إقامـة المحاضـرات العديـدة للحديث عـن جوانب متعـدّدةٍ من حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ممّـا يُبرز معالم شـخصيّته ويُوضّحها. وبذل الجهـد في بيان أهمية احتواء مناهج التعليم على مادة السّيرة النبويّة، ونقل ذلك لمسؤولي قطاع التعليم وحثّهم عليه.

٣. توفير الدعم المالي لدراسة السّيرة النبويّة في الجامعات الغربيّة المرموقة. والاهتمـام بالسّـيرة النبويّة من خلال الدعـوة إلى البحث العلمي فيهـا، والعناية بكتب السـنّة مع التشـجيع على ترتيبها وفق أقسـامٍ واضحةٍ متعـدّدةٍ؛ كالمغازي والشمائل وغيرها.

٤. الاهتمـام بإعداد المخيّمات الشـبابيّة التي يمكن مـن خلالها بثّ محبة رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسـنّته في نفـوس الشـباب. والاهتمـام بإعـداد دوراتٍ تدريبيّةٍ تُعنى بغرس الاقتداء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنشئة قادةٍ بذلك.

٥. السّـعي لإعداد معارضَ تُعرِّف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المستويَيْن المدرسي والجامعي.

٦. السّعي في تهيئة موسوعاتٍ أكاديميّةٍ غزيرةٍ بالسّيرة النبويّة، بحيث تصبح مراجع مُعتَمدة فيها، وبذل الجهد في ترجمتها إلى لغاتٍ عالميةٍ متعدّدةٍ.

٧. حثّ الطلبة والطالبات على إعداد البحوث العلميّة في السّيرة النبويّة من خلال عقد مسابقاتٍ سنويّةٍ، وتوفير مكافآتٍ متنوّعةٍ لكتابة أفضل بحث.

٨. الحرص على اختيار أركانٍ خاصّةٍ وواضحةٍ في المكتبات، وتخصيصها باحتواء كلّ ما يتعلّق برسول الله؛ ككتب السيرة والسنّة.

حول «كتاب دلائل الخيرات» وأثره وأهميته

نبذة عن كتاب دلائل الخيرات

تفرّد بعض الصالحين على مرِّ الأزمان بتصنيف كتب جامعة لصيغ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم تزل تُقرأ كأوراد منتظمة عند بعض أهل التصوف، طارت من بينها شهرة كتاب دلائل الخيرات ومشارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لمؤلفه السيد الإمام محمد بن سليمان الجزولي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٨٠٧- ٨٧٠هـ]، الذي قال عنه أحد شراحه العلامة محمد المهدي الفاسي في ممتع الأسماع:

وكتابه المذكور قد نفع الله به العباد، وأخذ بالأسانيد المحررة وأقبل الناس عليه، وسار فيهم مسير الشمس والقمر، واشتهر في البدو والحضر، وانكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره من كتب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كثرتها وأسبقيتها، وقد أحسن العلامة عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف محتوى كتاب الدلائل بقوله:

حوى صلوات طيبات كثيرة ... على المصطفى أزهارها منها تقطف
وأخرى أتت فيما رووه وصنفوا ... فمنها الذي قد أنشأته أئمة
شوارق أنوار بها تتشرَّفُ ... دلائلُ خيراتٍ فرائد نعمة

حدائق جُعلت من الله تزلف ... ينابيع رحمة موارد حكمة
يا حسنه من جامع صلواته ... آيات فتح بالهداية تخفق
أهل الصلاة على النبي قد أكثروا ... في جمعها وتنافسوا وتأنقوا
لكن عناية ربنا حقًّا قضت ... أن الجزولي شأوه لا يُلحقُ
لا غرو أن يعلو الجميع لأنه ... قطب الزمان وغوثه المتحقِّقُ

وقد ذكروا أن من بركات هذا الكتاب: أنه يفيد النور، وأنه من أعظم أسباب قضاء الحوائج.

وأن من بركاته أيضًا: فتح أبواب الخير والسعادة والغنى لمن أكثر من قراءته.

وأعظم من ذلك: رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، لمن داوم على قراءته وأكثر، كما هو مجرّب عند أهل الخير والصلاح.

سيرة الإمام الجزولي مؤلف الدلائل

هو الشيخ الإمام العلامة العارف المحقّق الواصل، قطب زمانه، وفريد عصر وأوانه، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولي السملالي (قبيلة) الحسني نسبًا.

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سوس آخر القرن الثامن، وطلب العلم في مدينة فاس، ثم رحل بعدها إلى الحجاز ومصر والقدس لسبع سنوات للأخذ عن العلماء

والتلقي عن الشيوخ المربين، عاد بعدها إلى المغرب وحلَّ بفاس؛ حيث التقى هناك بالإمام زروق، الذي أرشده إلى الشيخ المربي وأوحد وقته سيدي أبي عبد الله محمد أمغار (الصغير) -عنه بقرية تيط.

بعد أخذه للشاذلية دخل الخلوة للعبادة نحوًا من أربع عشرة سنة، ثم خرج بعدها وأخذ في تربية المريدين، وتاب على يديه هناك خلق كثير، وانتشر ذكره في الآفاق، وظهرت على يديه الخوارق والكرامات الفخيمة، ونُسِبَت له المناقب الجسيمة.

تُوفّيَ بآفرغال مسمومًا في صلاة الصبح سادس عشر ربيع الأول عام ٨٧٠هـ، ودُفِنَ بمسجده لصلاة الظهر من ذلك اليوم، وقيل: إن رائحة المسك توجد من قبره لكثرة صلاته على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد سبع وسبعين سنة من موته نُقِلَ من سُوس إلى مراكش، فوجدوه على هيئته التي كان عليها، فدُفِنَ بمنطقة رياض العروس، وقبره يُزار ويتبرك به، وهو أحد رجال مراكش السبعة.

لإمامنا الجزولي كلام كثير في الطريق وله تأليف في التصوف سماه: (النصح التام لمن قال: ربِّيَ الله ثم استقام)، و(حزب الفلاح)، وحزبه الموسوم بـ(حزب سبحان الدائم الذي لا يزال)، و(كتاب دلائل الخيرات) الشهير الذكر.

ثم الجزولي ذي الدلائل من له ... فضلٌ علينا لا يزال مؤيدا

يا رب بالرضوان عُمَّ ضريحه ... وامنحه في الجنات أعلى محتدا

سبب تأليف الدلائل

ذكر العارف بالله الشيخ أحمد الصاوي المصري في شرحه على صلوات شيخه القطب الدردير «أن الإمام الجزولي حضره وقت الصلاة فقام يتوضأ لها، فلم يجدْ ما يُخرج به الماء من البئر، فبينما هو كذلك إذ نظرت إليه صبية من مكان عالٍ، فقالت له: من أنت؟ فأخبرها، فقالت له: أنت الرجل الذي يُثنى عليك بالخير، وتتحيَّر فيما تخرج به الماء من البئر؟! وبصقت في البئر ففاض ماؤها حتى ساح على وجه الأرض. فقال الشيخ بعد أن فرغ من وضوئه: أقسمت عليك بم نلت هذه المرتبة؟ فقالت: بكثرة الصلاة على من كان إذا مشى في البرّ الأقفر تعلّقت الوحوش بأذياله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحلف الشيخ الجزولي يمينًا أن يُؤلّف كتابًا في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جمع الإمام الجزولي كتابه من خزانة مسجد القرويين بفاس، وبيّن غرضه منه في خطبة الكتاب بأنه: «ذِكْرُ الصَّلاةِ عَلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَضَائِلُهَا، نَذْكُرُهَا مَحْذُوْفَةَ الْأَسَانِيدِ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا عَلَى القَارِئِ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ لِمَنْ يُرِيدُ الْقُرْبَ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ»، وقد استقصى في سبيل ذلك كيفيات الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبتدئًا منها بما صحّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخُرِّج في كتب الإسلام المعتمدَة ونحوها، ثم بما رُوي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن غيره من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفضلاء والأخيار والعلماء والأبرار ممّا رتَّبوه في أورادهم، أو سطروه في تآليفهم كما بيّن العلامة سيدي محمد المهدي الفاسي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى بنسقٍ لطيف بديع، ونسجٍ راقٍ ظريف.

وقـال العباس التعارجـي: «وكان نفعنا الله به -أي الشـيخ الجزولي- يرى أن أشـملَ صلاةٍ في دلائل الخيرات من جميع صلواته، هي قوله: اللهم صلّ على سيّدنا محمّد نبيك، وسيّدنا إبراهيم خليلك، وعلى جميع أنبيائك وأصفيائك، من أهل أرضك وسمائك. إلى قوله: كفضلك على جميع خلقك».

إضافـةً إلـى ذلك، أدرج الجزولي في عدة مواضع مـن الكتاب صلوات من إلهامـه عبّر فيها عن ذوقيته وفـرط محبته، ومنزلة معرفته بالذات المحمدية، ومن ذلك قوله في اللوح الثاني والعشرين الذي يهيم عند تلاوته المحبون: (اللّهُمَّ صَلِّ عَلى سَـيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الحُسْنِ وَالجَمَالِ، وَالبَهْجَةِ وَالكَمَالِ، وَالْبَهَاءِ وَالنُّورِ، وَالوِلْـدَانِ وَالحُورِ، وَالغُرَفِ وَالقُصُور، وَاللِّسَـانِ الشَّـكُورِ، وَالقَلْبِ المَشْـكُورِ، وَالعِلْمِ الْمَشْـهُورِ، وَالجَيْشِ المَنْصُـورِ، وَالبَنِينِ وَالبَنَـاتِ، والأزواجِ الطَّاهِرَاتِ، وَالعُلُـوِّ عَلَى الدَّرَجَـاتِ، وَالزَّمْزَمِ وَالْمَقَامِ، وَالمَشْـعَرِ الحَـرَامِ، وَاجْتِنَابِ الآثام، وَتَرْبِيَةِ الأيتام...).

قسّـم الجزولـي كتابَه إلى ألـواحٍ وفق أيام الأسـبوع، وإلـى أثلاث وأرباع ليتعهَّدها المحبّون كأورادٍ حسـب استعداداتهم. ومن حكمة ذلك ما ذكره الشيخ زكـي عبـد القـادر أن هذه الترقيـة من الثمن إلـى الربع إلـى غيره بمنزلـة التلقين للمشايخ، بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما اشتهر أنها تكفي عن الشيخ لمن لا شيخ له؛ كما نُقِل كذلك عن الشيخ حسن العدوي في شرحه على دلائل الخيرات عن الإمام السنوسي وسيدي أحمد زروق نوّر الله ضريحيهما، مع اشتراط العارف

الشعراني قدّس الله سره الإكثار وقوة الرابطة القلبية؛ فالثمن كالاسم الأول (لا إله إلا الله) والربع منزلة الاسم الثاني (الله)، والثلث (هو)، والنصف منزلة الاستغراق في عين بحر أحدية الهوية عند السادة الشاذلية، حقّقنا الله لهم بالتبعية.. آمين.

ولدلائل الخيرات عشراتٌ من الشروح، أبرزها:

- مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، للعلامة محمد المهدي بن أحمد الفاسي، المتوفّى سنة ١١٠٩هـ. وهو أفضل هذه الشروح، وأوجزها، وله شرحان آخران؛ كبير ومتوسط.
- شرح دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تأليف العلامة عبد المجيد الشرنوبي الأزهري، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات، ليوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى عام ١٣٥٠هـ، وهو شرح مطبوع.

فضائل الدلائل

يحتوي كتاب الدلائل على الكثير من الأسرار، وتكتنفه الأنوار المستمدة من أفضال صيغ الصلاة على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي يتضمنها، والتي نوّهت السنة النبوية بفضلها، أو بشَّر منشئوها بخيريتها، ولا أدلّ على ذلك من الصلاة التي كانت سببًا في تأليف الكتاب، التي تيسر بتلاوة ألفاظها إخراج الماء من البئر للإمام الجزولي.

ولقد تلقّف المحبون هذه الفوائد، وأخذوها بعزم التصديق، فأصبح بعضهم يتصرف بها في قضاء الحوائج وتيسير المهمات. من ذلك صلاة روح سيدنا محمد في الأرواح التي روى أبو القاسم السبكي عنها في كتابه الدر المنظم في المولد المعظم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من صلى على روح محمد في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور، رآني في منامه، ومن رآني في منامه رآني في القيامة، ومن رآني في القيامة شفعت له، ومن شفعت له شرب من حوضي، وحرّم الله جسده على النار**».

ما مدى أفضلية كتاب (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟

كتاب (دلائل الخيرات) هو الكتاب الذي «عمَّت بركته الأرض» كما يقول الإمام أبو العباس أحمد التُّنبكتي [ت: ١٠٣٦هـ] في (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، وهو من أفضل كتب الصلاة على النبي المصطفى والحبيب المجتبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي اعتمدها العلماء والأئمة عبر الأعصار، وأوصوا بها في مختلف الأمصار، وكُتِبَ له من القبول في الأمة الإسلامية ما لم يُكتَب لغيره من الكتب والمصنّفات في هذا الموضوع على كثرتها، وقد لهجَ به العلماء والأولياء والصالحون ذكرًا وقراءة وشرحًا منذ زمان تأليفه إلى يومنا هذا، من غير نكير،

حتى ظهر النابتة المتشددون الذين أحيَوْا مناهج الخوارج بتكفيرِ الأمة وتبديعها، فكفَّروا المسلمين ظلمًا وبغيًا وعدوانًا.

واسم هذا الكتاب المبارك: (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) للإمام الشريف الحسيب النسيب زين الأولياء وسيد العلماء العارف بالله تعالى الشهيد أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الحسني المالكي [ت: ٨٧٠هـ]، صاحب القدم الراسخ في فقه الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حتى كان يحفظ كتاب (المدونة) عن ظهر قلب، ويحفظ فَرْعي ابن الحاجب؛ كما جاء في (كفاية المحتاج).

و(دلائل الخيرات) هو كتاب جمع فيه مؤلفُهُ ما ورد في صيغ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن الصحابة والتابعين فمَن بعدهم من الفضلاء الأخيار، والعلماء الأبرار، والأولياء الأطهار، مما رتَّبُوه في أورادهم أو سطَّروه في تآليفهم.

وعدَّه شيخ الشافعية في عصره العلامة سليمان الجمل [ت: ١٢٠٤هـ] في شرحه (المنح الإلهيات) [أجلَّ كتاب أُلِّف في الصّلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] اهـ.

وذكر حافظ عصره العلامة محمد مرتضى الزبيدي [ت: ١٢٠٥هـ] في كتابه (إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين): [أن الله رزقه من القبول والاشتهار ما لم يُعْطَ لغيره؛ فولعت به الخاصّة والعامّة، وخدموه بشروح وحواشٍ، وما ذلك إلا لحسن نية صاحبه وخلوص باطنه في حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] اهـ.

ووصفه العلامة المحقّق عبد الرحمن بن محمد الفاسي المالكي [ت: ١٠٣٦هـ] في شرحه (الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات) (ق: ٤/ أ، مخطوط) بأنه: [مِن أفضل ما صُنِّف في كيفية الصلاة على النبي المختار، وكان الاعتكاف والدوام على قراءته من وظيفة الأبرار، ومن أجَلِّ ما تحلَّى به -حتى صار هِجِّيرَاهم- المقربون الأخيار] اهـ.

وعدَّهُ العلامة الحاج خليفة [ت: ١٠٦٧هـ] في (كشف الظنون) آيةً من آيات الله في الصلاة على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يُواظَبُ بقراءته في المشارق والمغارب، لا سيما في بلاد الروم] اهـ.

وقال فيه العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد الفاسي المالكي [ت: ١١٠٩هـ] في كتابه (ممتع الأسماع بمناقب الشيخ الجزولي والتباع، ومن لهما من الأتباع): [قد نفع الله به العباد، وأخذ بالأسانيد المحرّرة وأقبل الناس عليه، وسار فيهم مسير الشّمس والقمر، واشتهر في البدو والحضر، وانكبّوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره من كتب الصّلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كثرتها وأسبقيتها، ويجدون له بركة ونورًا] اهـ.

وقال العلامة الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد السلام بن بوستة البناني المالكي [ت: ١٣٤٦هـ] في كتابه (النعم الجلائل في التعريف بالشيخ مولانا محمد بن سليمان صاحب الدلائل) (ق: ٢٠أ، مخطوط): [وبالجملة: فهذا الكتاب المبارك من أحسن الذخائر وأعظم البشائر، تلوح على قلوب العارفين له

الأسرار، وتشرق فيها الأنوار، وتنجلي ببركته الهموم والأكدار، فله الفضائل التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، والبركات التي لا تُحَدُّ ولا تُستَقْصَى] اهـ.

وقال العلامة عبد المجيد الشرنوبي الأزهري المالكي [ت: ١٣٤٨هـ] في (شرح دلائل الخيرات): [كتاب (دلائل الخيرات) من أنفس ما يُتَقَرَّب به إلى سيد السادات] اهـ.

إلى غير ذلك من عبارات الثناء العاطر والمدح السائر التي تبين أنَّ هذا الكتاب قد رُزِق من القبول في المسلمين عامتهم وخاصتهم ما لم يرزقه غيره، وحاز من الحظوة والانتشار ما لم يَحُزْهُ أي كتاب، وعمَّ دخوله كل البيوت وجميع الطبقات، وقرأه حتى ربات الخدور، ورأى المسلمون من خيره وبركته ما لا يحصى من بلوغ الآمال، وعم الانتفاع به في المشارق والمغارب عبر العصور والأجيال، وشاهدوا له من البركات والأنوار ما لا يخطر على بال، وتنافس الناس في كتابته ونسخه؛ حتى إن المتتبع لنُسَخِه المخطوطة المبثوثة في مكتبات العالم يجده في المرتبة الأولى في عدد المخطوطات؛ مما يدل كل هذا على أفضليته.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم[1].

مدح مفتي فاس الإمام العارف الرحّالة أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العَيّاشي [ت: ١٠٩٠هـ]، للإمام الجزولي وكتابه، ووصف ما يحتويه بقوله:

(١) فتوى رقم: ٦٠٩٠، دار الإفتاء المصرية.

عليك بما يحويه هـذا المؤلَّفُ ... ففيه غنى الدارين إن كنت تعرفُ
فلازمه واستمسك به إن تكن فتى ... لديك إلى حُبِّ الرسول تَشَوُّفُ
حـوى صـلـوات طـيـبـات كثيرة ... على المصطفى أزهارها منه تقطف
فـمـنـهـا الـــذي قـد أنـشـأتـه أئـمـة ... وأخـرى أتت فيما روَوْه وصنفوا
(دلائـــل خـيـرات) فـوائـد نعمة ... شـــوارق أنـــوار بـهـا تـتـشـرف
ينـابـيـع رحـمـات مـــوارد حكمة ... حـدائـق جـنـاتٍ مـن الله تُـزلِـفُ
وجـامـعـهـا فـــردُ الـزمـان وغـوثُـه ... أقـر لـه بالفضل مَـن هـو منصف
لـه في مـقـامـات الـيـقـيـن تمكّن ... وسـر خفي في الـمـعـارف يلطف
جـزاه إله العرش عن جمعه الذي ... بـه يـتـرقـى الـسـالـك المتصوف
فلا تـعـدون عـيـنـاك عـنـه فـإنـه ... كـتـاب بـأنـوار الفضائل يُـعْـرَفُ
لـقـارئـه الـحـسـنـى غـــدًا وزيـــادة ... وقـرب مكين بالمواهب ينطف

الرد على منتقد كتاب «دلائل الخيرات»

السـؤال: طالعتنا إحدى الصحف بعنوانٍ مثير للاستنكار وهو (التحذير من كتـاب دلائل الخيـرات)، وادعى فيه صاحبه أن هذا الكتـاب مملوء بالمخالفات الشـرعية، والعبارات الشـركية، ولمَزهُ بأنه (دلائل الشـركيات)، وأن الدليل على شـركه عبارة: (مسـتمدًّا من حضرته)؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا سـألت فاسـأل الله**»، وحرَّمـوه بدعوى أنه لا يجوز اسـتحداث صيغ جديـدة، وأنه يذكر أسـماء وصفات للرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تليـق به؛ مثل: محيـي، ومنج، وناصر،

وغـوث، وصاحب الفرَج، ولا تجوز لأن فيها غلوًّا ومبالغة، وأنه لا تجوز الزيادة على أسـماء الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي وردت في الأحاديث الصحيحة، وأن فيها عبارات كفر؛ مثل: (اللهم صل على من تفتقت من نوره الأزهار)، أو حرام؛ مثل: (اللهـم صل على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شـيء). فكيـف نردّ عليه؟ وما حكم قراءة دلائل الخيرات؟

كتاب (دلائل الخيرات) من الكتب المباركة التي كُتِبت في الصلاة والسلام على أشـرف الكائنات سـيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو كتاب عالي القدر، سرى في الأمة مسـرى الشـمس في الآفاق، وعُقِدَت له المجالس، وشرحه كبار العلماء والأولياء، وهو أجلُّ كتاب أُلِّفَ في الصلاة عليه، قد رُزِق من القبول في المسلمين عامتهم وخاصتهم ما لم يرزقه غيره.

ووصف كتابٍ -هذا شـأنُه عبر الأمصار والأعصـار، وهذه منزلته في الأمة الإسلاميـة- بـ(دلائل الشـركيات) هو من شـأن الخوارج الذيـن يكفرون علماء المسلمين وأئمتهم.

وما يقال حوله من دعاوى وشـبهات هي في الحقيقة أكاذيب تشـكّك الأمة في علمائهـا وأوليائهـا، وتفتقر إلى أصول الفهم وقواعـد العلم، بل هي مغالطات يُدْرِك من له أدنى حظ من العلم ما فيها من الخلط والتلبيس.

فأما دعوى الشـرك في عبارة: (مسـتمدًّا من حضرته): فهي دعوى فاسـدة، وأشـد منها فسادًا الاسـتدلال عليها بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا سَـأَلْتَ فاسأل الله**»؛

فإن المقصود هو طلب المدَد على جهة السببية؛ أي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سببٌ في ذلك، وهذا جائز شرعًا.

وأما إنكار أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألقابه وأوصافه المذكورة بالكتاب؛ ودعوى أنها لا تليق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فهو جهلٌ بأن هذه الأسماء الشريفة مأخوذة من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن السّلف، وأن للعلماء فيها تآليف وتصانيف، وهذه الأسماء والأوصاف كتبها المسلمون على جدار قبلة المسجد النبوي الشريف، بنصّها وعددها، بأجمل الخطوط وأحلاها وأبدعها؛ يقرؤها كل زائر، ويلهج بها كلُّ محبّ.

ودعوى الغلوّ والمبالغة تجاهلٌ وتغافلٌ عن أن كمالاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تتناهى، وأن الخلق كلهم عن بكرتهم مهما وصفوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن يصلوا إلى عشر معشار قدره ومقامه عند مولاه؛ فهو الذي دلّ الخلق على الخير.

والزعم أنه لا تجوز الزيادة على أسماء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواردة كلام فيه تلبيسٌ وخلطٌ بين باب الاسمية والوصفية؛ فإن الاسم قد يُطلَق تارةً على العَلَم، وقد يطلق على الوصف؛ فإن أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تطلق على أوصافه وشمائله، وهي مأخوذة من القرآن والسّنة والسّيرة وآثار السّلف الصالح، وتشتقّ من أفعاله وكراماته وخصائصه وأخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأمّا استنكار بعض هذه الأسماء الشريفة؛ ومنها: مُحيي، ومُنج، وناصر، وغوث، وصاحب الفرج، وأجير، فغير صحيح؛ إذ كلّها أسماء صحيحة متّفق

عليهـا لا معنى لإنكارها؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سـبب لإحياءِ القلوب، والنجاةِ من العقاب، والحمايةِ من العذاب، وإغاثةِ الخلق، وتفريجِ كروبهم، كل ذلك بإذن الله تعالى؛ فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببٌ في كلّ ذلك.

وزعم الشـرك في عبـارة: (اللهم صل علـى من تفتقت من نـوره الأزهار)، بدعوى أن الأزهار فتقها الله وحدَه: مغالطة وشـغب؛ فالمعنى المقصود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببٌ لكلّ خير في الدنيا والآخرة.

وأما دعوى معارضة النصوص لقوله: (اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء): فجهل بالسنة؛ فقد ورد ذلك في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا عند الطبراني في (الدعاء) والديلمي في (الفردوس): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لَا يَبْقَـى مِنْ صَلَاتِكَ شَـيْءٌ، وَبَـارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ بَرَكَاتِكَ شَـيْءٌ، وَسَـلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنَ السَّلَامِ شَيْءٌ». على معنى صلّ وسلّم وبارك على سـيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعَ ما صليتَه وأبرزتَه لأهـل عنايتِك وأنبيائِك ورسـلك وملائكتك، وقد كان كذلك، فإن الله سبحانه أنعمَ عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لـم يُعْطِهِ لمجموع أحبتـه وأهل ودّه وخاصّته، بل أعطاه أكثرَ وأجملَ، وسـيعطيه بعدُ ما لا يحيط به عقلٌ، ولا يحويه نقلٌ.

وممَّا سـبق يتبيـن أنّ ما أُثيـر من دعوى وشـبهات ما هـي إلا أكاذيب تبُثُّ مناهج التبديع والتكفير؛ فلا يجوز الالتفات إليها ولا التّعويل عليها.

وهـذا هو الفرق بين العالم الذي يحمل الكلام على أحسـن محامله، وبين المتحامل الذي يترصّد لِلَمْزِ الأولياء، والمتعالم الذي يهوى عيبَ العلماء.

وبنـاء على ذلك: فكتاب (دلائل الخيرات) مـن الكتب المباركة التي كتب الله لها القبول في الأمة الإسلامية، وشـرحه العلماء الكبار على اختلاف الأعصار والأمصـار، وقـرأه المسـلمون عبر القـرون، وأجمعت على قبولـه الأمة من غير نكير، وهو من أعظم كتب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بركة وفائدة ونفعًا، ومن أعظـم ما امتُثِل به الأمرُ النبوي بإحسـان الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقراءته مشروعة، وهي من أعظم الوسائل الموصلة لصاحب الشمائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد اعتمد العلماء ما ذكره من أسـماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، وكتبوها على جدار قبلة المسجد النبوي الشريف[1].

التعريف بمدينة فاس

نبذة تاريخية:

تُعتبر مدينة فاس أول عاصمة في تاريخ المغرب، حيث تأسّست سنة ٨٠٨هـ علـى يد المولى إدريس الثـاني، ثم اختارها المرينيـون خلال القرن ١٣ كعاصمةٍ لهم، وبعدهم المولى عبد الله في القرن ١٩.

وتُعتبَـر دون شـكٍّ المركـز الروحـي والثقـافي للمغـرب، كما تتميـز بتنوعِ مناظرها وعظمة ماضيها.

ويمكن تقسـيم تاريخ فاس إلى ثلاثـة حقب: (فاس البالي) في عهد المولى إدريـس الثـاني في أوائل القرن التاسـع، ثم (فاس الجديد) في القرن الثالث عشـر، وأخيرًا (المدينة الحديثة) منذ القرن التاسع عشر.

(١) فتوى رقم: ٥٧١٨، دار الإفتاء المصرية.

وقد تميزت فاس باستقبالها للأسر الأندلسية المسلمة، والتي نزحت إليها واستقرت في الضفة اليمنى لنهرها، وكذا للأسر القيروانية المنفية والتي استقرت في الضفة اليسرى. ويرجع الفضل لهذه الأخيرة في إنشاء (جامع القرويين) والذي يُعتبَر أعرق مركزٍ للتعليم في العالم، ولا يزال إلى يومنا هذا مركزًا رائدًا على مستوى المغرب العربي.

وقد لعب موقعها الإستراتيجي دورًا مهمًّا في جعلها قطبًا اقتصاديًّا وتجاريًّا حيث كانت حلقةَ وصل بين أهم المدن التجارية آنذاك مثل: سبتة، سلا، تلمسان، سجلماسة، قرطبة والقيروان.

كل هذه العوامل مكّنت منظمة اليونسكو على تصنيف مدينة فاس ضمن قائمة التراث العالمي منذ سنة ١٩٨١.

الأثر الصوفي في بلاد المغرب

تأثر أهل المغرب بوضوح بالزهد الإسلامي على اعتبار أنه من شيم الصالحين من الفاتحين المسلمين وسلفهم من الصحابة والتابعين الذين وصل بعضهم إلى منطقة الغرب الإسلامي، إلى جانب كونه سمْتَ الفقهاء المتقين من القرون الأولى، لكن أثر هذا التصوف اقتصرَ على الجانب الأخلاقي، ولم يذهب إلى التصوف الفلسفي رغم النشاط الكبير لهذا المذهب.

الزوايا المغربية

ظهـرت الزوايا في المغرب بعـد القرن الخامس الهجري إبان حكم يعقوب المنصـور الموحدي، الذي بنـى زاوية في مدينة مراكـش، واعتنى ملوك المغرب بإنشـاء الزوايا، مثـل (دار الضيافة) التي بناها المرينيـون، أو الزاوية العظمى التي أسّسها أبو عنان فارس، خارج مدينة فاس، وكانت تسمى في فترة من فترات تاريخ المغرب (دار الكرامة).

ولـم ينقطع المتصوفة عن ممارسـتهم الحيـاة الاجتماعيـة العادية، وكانوا يسـلكون طريق التذوق والارتقاء في مقامـات أهل الطريق، وعدم المبالاة بظهور الكرامات أو حصول الشهرة، ويسعون إلى التستّر على كراماتهم وأحوالهم.

وتنشـط في المغرب عشـرات الزوايـا الصوفية، مثل الطريقة الشـاذلية التي تُنسـب إلى أبي الحسـن الشـاذلي، وهناك الزاوية البودشيشـية القادرية والزاوية الدلائية، وغيرها.

ويقـول الباحث خالـد الحاتمي: [إن الزوايا في المغرب لا تسـتهدف تدبير الشأن العام، وإن كانت لها أدوار اجتماعية وأخلاقية وتربوية]. ويضيف الحاتمي أن [دور الزوايـا الأساسـي يكون في تربيـة النفس، وبذلك تتطهـر النفس من كل الكبائر والسـلوك المشـين، وبالتالـي الاعتماد الكلي يكـون على الأخلاق وهي رأسمال الزوايا].

الحضور الروحي لبلاد المغرب العربي، وأثره الممتد إلى جنوب صحراء إفريقيا

تشكل إفريقيا بالنسبة إلى المغرب امتدادًا جغرافيًّا وتاريخيًّا، وكانت البلاد بمثابة حلقةِ وصلٍ بين الشمال والجنوب، ومسارًا لتجارة القوافل القديمة، كما أن الارتباط الثقافي والديني في المغرب كان وثيقًا وما يزال. ويُعتبَر المذهب المالكي السّائد في كثير من البلدان الإفريقية والطرق الصوفية على حدٍّ سواء، كما تتشابه العديد من العادات والمواسم والتقاليد في الزواج والمناسبات.

والحضور المغربي الديني والثقافي ظلّ متواصلًا في إفريقيا جنوب الصحراء على طول المدى الزمني، الذي شهد بداية قيام الزاوية التيجانية هناك، ونشأتها وانتشار نفوذها في بلدان حوضي السنغال والنيجر وما وراءهما... وإلى يومنا هذا، ما زالت الزاوية التيجانية محافظةً على استمرارية الروابط التاريخية التي جمعت بين المغرب وبلدان (السودان الغربي) عبر تاريخه الإسلامي، بالإضافة إلى الدور التاريخي الذي لعبته مدينة فاس كعاصمةٍ دينية وعلمية، توافدَ عليها الأفارقة ليتتلمذوا على يد علماء القرويين.

والطريقة التيجانية طريقة صوفية سنية تنتسب إلى الشيخ أبي العباس أحمد التيجاني، ويسمى أتباعها (التيجانيين)، وتنتشر في عدة دول عربية وإفريقية، ويحج أتباعها إلى مدينة فاس المغربية -حيث يرقد مؤسسها- كل سنة لإحياء موسم الزاوية.

يقـول الباحـث المغربـي محمـد نعناعـي: إن بلادَه منبـعُ كثيرٍ مـن روافد التصوّف عبر العالم وفي جنوب الصحراء الإفريقية.

ولـم تكن العوامل الطبيعية القاسية للصحراء، ولا وعورة المسالك الرملية، ولا طول الطريق بين المغرب وبلاد السودان الغربي -كافيةً لكبح روابط التواصل المختلفـة بين سـكان المنطقة، مما أسـهم في خلق لحمةٍ اجتماعيـة؛ انصهر فيها العرب والأمازيغ والزنوج، خاصةً في المناطق الصحراوية.

ويضيـف نعناعي أن دور المغـرب في التصوف بدول جنـوب الصحراء لا يزال مسـتمرًّا، ويتجلى مثلًا في ذلك الارتباط التاريخي بين الزاوية التيجانية التي لا يزال أتباعها مرتبطين روحيًّا بمركزها بفاس، حيث يفدون إليها كلّ سنة، خاصةً من السنغال.

من أعلام التصوف المغربي:
محمد بن سليمان الجزولي.

هناك شـخصيات علمية مغربية بارزة، طبقت شـهرتها الآفاق، وذاع صيتها في المغرب والمشـرق كالقاضي عياض والشاذلي، والجزولي... وغيرهم. ومن المقـرّر المعروف أن كتبًا مغربية قد أدركت من الشـهرة والذيوع في أرجاء العالم الإسلامي ما لم يدركه غيرها: مثل الشفا، وترتيب المدارك، ودلائل الخيرات...

واعتبـارًا لمكانـة الجزولـي في التصـوف المغربـي والإسلامـي، ولأهميـة كتابـه (الدلائـل) وآرائـه ورسـائله في التصـوف، فإننـي آمـل تخصيـصَ بعـض

المقالات لهذه الشخصية العلمية الفذة، للكشف عن هذه المكانة والتعريف به وبخصوصيات طريقته، وكتابته الصوفية، وتحليل بعض أذكاره وتصلياته، وعلى رأسها (دلائل الخيرات).

وسأفتتح هذه المقالة بربط الجزولي وطريقته بشبكات الطرق والطوائف المعروفة قبله، والتي سيتخذها أرضيةً لتأسيس طريقته الخاصة: أي الطريقة الجزولية.

الطوائف الصوفية وأسانيدها

الصوفية بالمغرب في ثلاث:

١) من الجنيد إلى الشاذلي.

٢) ومن الشاذلي إلى الجزولي.

٣) وما بعد الجزولي.

وكان أكثر دقةً عندما جعل هذا التصوف ممثلًا في ثلاث مدارس:

١) مدرسة الجنيد، يتبعها الشيعيون والأمغاريون.

٢) مدرسة الغزالي، يتبعها الماجريون والحاحيون والأغماتيون والحنصاليون.

٣) مدرسة الشاذلي، وهي التي سيمثلها الجزولي وزروق وأتباعهما.

وقد تبع الأستاذ علال الفاسي هذا التقسيم، مع تعديل بسيط عندما جعل المراحل أربعة:

١) من الجنيد والبسطامي إلى عهد أبي مدين والجيلاني.

٢) من الجنيد إلى الشاذلي.

٣) من الشاذلي إلى الجزولي.

٤) ما بعد الجزولي.

وتتفق هذه التقسيمات على وجود شخصيات مهمّة وجهت التّصوّف وتركت آثارها عليه، وأهمها: الجنيد، الجيلاني الغزالي، أبو مدين، ابن مشيش، والشاذلي.

من الشاذلي إلى الجزولي

ليس في نيتنا التعرض إلى الطريقة الشاذلية بتفصيل، فهذا لا يسمح به المجال، ولكن هدفنا تقديم الخطوط الرئيسية لها مع التركيز على الأسانيد الرابطة بين الشاذلي والجزولي.

والشاذلي هو أبو الحسن علي بن جبار المغربي دفين صعيد مصر (المتوفّى سنة ست وخمسين وستمائة)، فقد قضى أغلب مراحل حياته في الرحلة بين مصر والحجاز وبلدان المشرق آخذًا عن العلماء والصوفية بها، إلا أن أشهر شيوخه هما عبد السلام بن مشيش، ومحمد بن علي بن حرزهم، لهذا اشتهرت طريقته أول الأمر في المشرق والأندلس قبل أن ينقلها تلامذته المغاربة إلى المغرب.

واعتنى بها الناس في مختلف العصور، وبالغوا في تقديرها وتعظيمها حتى أننا كثيرًا ما نسمع عند المصنّفين أمثال محمد المهدي الفاسي مثل هذه الأقوال: «لو حلف حالف أن ما عليه أهل الطريقة الشاذلية هو الذي كانت منطوية عليه صدور الصحابة رضي الله عن جميعهم لبرّ في يمينه». وقيل: إن الطريقة الشاذلية نسخت سائر الطرق، كما نسخت الملّة المحمّدية سائر الملل.

وبنى الشاذلي طريقته على المواظبة على الذكر والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يشترط الشيخ؛ إذ بوسع السالك أن يصل إلى القطبانية بلا وساطة، كما أنه لم يشترطْ اتخاذ رباط أو زاوية.

وعرفت تغييرًا على يد تلامذته، ولخّص ابن الخطيب مبادئ الشاذلية في عبارة: (لا إله إلا الله)، وجعل السالكين تسعة أصناف تبدأ من إفراد الكلمة باللسان وتنتهي بمرتبة الفناء؛ أي التوحيد وإسقاط التدبير مع الحق.

وقد أحصى جورج دراك تسع عشرة طريقة متفرعة عن الشاذلية في الغرب العربي، وأشهرها الطريقة الجزولية والطريقة الزروقية، خصّص لهما محمد المهدي الفاسي مؤلفه (تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية)؛ تحدث فيه عن مبادئهما وطبقاتهما، وأتباع كل طبقة.

وتكاد كل كتب الطبقات والسلسلات تتفق على اتصال الطريقة الجزولية بالشاذلي حسب السند التالي:

فقد أخذ محمد بن سليمان الجزولي:

- عن أبي عبد الله محمد أمغار (من رباط تيط).
- عن سعيد الهرتناني (من رباط هرتنانة).
- عن أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي.
- عن أبي الفضل الهندي.
- عن أحمد عنوس البدوي.
- عن أحمد القرافي.
- عن أبي عبد الله محمد المغربي.
- عن أبي الحسن الشاذلي.

وقد نظم بعض العلماء هذا السّند تسهيلًا لحفظه.

الجزولي وما بعده

يُعَدّ الجزولي معلَمَةً من معالم التصوف المغربي الإسلامي. فإليه انتهت الطريقة الشاذلية، وعنه تتفرّع جملة من الطرق التي يكثر اتّباعها في كافة أنحاء العالم الإسلامي: كالطريقة التباعية، والغزوانية، والفلاحية، والبكرية، والعيساوية، والشرقاوية، والبوعمروية...

واشتهر الجزولي كذلك بأحزابه وأوراده وأذكاره، وعلى رأسها (دلائل الخيرات) والتي ظلت محلَّ رعاية وعناية في مختلف العصور. هذا بالإضافة

إلى إسـهامه في المجالات التربوية والاجتماعية والسياسـية، وسعيه نحو إصلاح مجتمعه وتوجيهه. انتهى[1].

(١) مقتطف من مقالة لـ(حسن غلاب) في مجلة دعوة الحق.

خاتمة

في نهايـة بحثنا لا يسـعنا إلا أن نعبّرَ عن إجلالنا الشـديد لهذه الذات النبوية العظيمـة الكاملـة الفاضلـة، ولهذا قال عنه سـيدنا جبريل: «قلبت مشـارق الدنيا ومغاربها فلم أجدْ أفضلَ من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «.

فصلى الله وسـلم على صاحب هذه الصفات التي لا يجد الكمال الإنساني مذهبًا عنها، ولا عن شـيء منها، ولا يجد النقص البشـري مسـاغًا إليها، ولا إلى شـيء منها، ففيهـا المعنى التّام للإنسـانية، كما أن فيها المعنـى التّام للحق، ومن اجتماع هذين يكون فيها المعنى التّام للإيمان.

هـي صفات إنسـانها العظيم، وقد اجتمعـت له لتأخذ عنه الحياة إنسـانيتها العالية، فهي بذلك من براهين نبوته ورسالته.

ونرجو من الله أن نكون قد سـاهمنا في إرشـاد كلّ محبّ مقبلٍ على التعرف على نبيّنا العظيم، وأن يكتب الله لهذا العمل القبول...

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

قائمة دليل الخيرات كاملة

مختصر سلسلة دليل الخيرات

سلسلة دليل الخيرات حلقات
ما بعد رمضان

المصادر والمراجع

- صحيح البخاري- للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
- صحيح مسلم- للإمام مسلم بن الحجاج.
- سنن الترمذي- لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.
- سنن أبي داود- للإمام أبي داود الأزدي.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري- للإمام ابن حجر العسقلاني.
- الخصائص الكبرى- للإمام جلال الدين السيوطي.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى- للقاضي عياض بن موسى اليحصبي.
- المواهب اللدنية شرح الشمائل المحمدية- لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.
- الإصابة في تمييز الصحابة- لابن حجر العسقلاني.
- الآثار النبوية- لأحمد تيمور باشا.
- دلائل الخيرات- لمحمد بن سليمان الجزولي.
- وسائل الوصول لشمائل الرسول- ليوسف بن إسماعيل النبهاني.
- فتاوى دار الإفتاء المصرية- عن الموقع الرسمي لدار الإفتاء.
- مقالة من مجلة (دعوة الحق)- لحسن غلاب.

فهرس المحتويات

تمهيد ٥
الفكرة العامة ١١
خريطة الحلقات (المحاور والأسئلة) ١٣
المحور الأول: التمهيد لموضوع حلقات (كتاب دلائل الخيرات)..... ١٣
المحور الثاني: الرد على شبهات الصلوات على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ١٤
المحور الثالث: عظمة الرسول وارتفاع قدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ١٤
المحور الرابع: المعرفة والمحبة..... ١٥
المحور الخامس: الاتّبَاع والأدب..... ١٦
المحور السادس: محبة آل البيت. ١٧
المحور السابع: الشك والارتياب، شبهات حول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..... ١٨
المحور الثامن: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي في حياته البرزخية..... ١٩
المحور التاسع: السند/ النُّصرة..... ١٩
المحور العاشر: دلائل الخيرات. ٢٠
دليل الخيرات (الحلقات) ٢١
المحور الأول: المدخل. ٢١
المحور الثاني: شبهات الصلاة..... ٢١
المحور الثالث: لماذا يستحق سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كل هذا القدر؟ ٢١
المحور الرابع: محبته. ٢٢
المحور الخامس: الاتباع والأدب..... ٢٢
المحور السادس: محبة آل البيت. ٢٢
المحور السابع: العصمة (الشك والارتياب)..... ٢٣
المحور الثامن: أين هو الآن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ ٢٣
المحور التاسع: علاقتنا به الآن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..... ٢٣
المحور العاشر: حلقات الدلائل (في حال أردنا إضافة حلقات)..... ٢٣

المقدمة ٢٥
مشروعية الصلاة والسلام على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٧
أولًا: من القرآن الكريم ٢٧
ثانيًا: من السنة النبوية ٢٧
ثالثًا: إجماع الأمة على مشروعيتها ٢٨
معنى صلاة الله وملائكته عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان كيفيتها ٢٩
معنى السلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٩
الأمر بالصلاة والسلام على الجناب النبوي الشريف ٣٠
معناه: ٣٠
فضائل الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٣١
ما ورد في التنزيل في فضائل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٣٢
ما ورد في السُّنة المطهرة في فضائل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٣٢
الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتوسل به سبب في شفاء السقام ٣٤
التوسل بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقضاء الحاجات ٣٤
الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمانٌ لحسن الخاتمة ٣٥
صلاتنا على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معروضة عليه في برزخه (قبره الشريف) ٣٦
الشبهات، واختراع صيغٍ لم ترِدْ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٣٧
الحديث عن مفهوم البدعة ٣٧
ما حكم الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيغة معينة؟ وهل اختراع صيغ للصلاة على النبي بدعة؟ ٣٩
الصلاة الإبراهيمية ٤٢
صيغ الصلوات المشهورة التي صاغها الأئمة الكبار ٤٣
صيغة الإمام علي بن أبي طالب: ٤٣
صيغة سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٤٣

الصلاة الشافعية: للإمام محمد بن إدريس الشافعي: ٤٥
مشروعية الاجتماع لمجالس الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **..... ٤٧**
أولا: مشروعية الاجتماع لمجالس ذكر الله ٤٧
ثانيًا: بيان مشروعية رفع الصوت بالذكر والجهر به في جماعة ٤٧
ثالثًا: مشروعية الجهر بالصلاة على سيدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في جماعة** ٤٨
حكم ذكر لفظ السيادة ٤٩
سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هو الواسطة بين الخالق والمخلوق ٥٣**
بيان المقصود بالوسيلة والتوسّل ٥٣
الأدلة الواردة على مشروعية التوسل ٥٤
حكم التوسل بالأنبياء والمرسلين ٥٦
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هو باب الدخول الأعظم على الله** عَزَّوَجَلَّ ٥٧
شرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وعِظم قدرهِ عند ربه ٥٩**
من تعظيم الله لقدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قرن اسمه باسمه سبحانه** ٦٠
أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **..... ٦١**
بعض معاني أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٦٣
ثناء الله تعالى على خُلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٦٤
مظاهر رحمة النبي بالخلائق أجمعين ٦٧
رحمته بالضعفاء ٦٧
رحمته باليتامى والأرامل ٦٧
رحمته بالنساء ٦٧
رفق النبي وملاطفته للأطفال ٦٨
رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بخدمه** ٦٩
رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالمرضى** ٧٠
رحمته بالمؤمنين وأُمّته ورعيّته ٧٠

رحمته بالجُهّال ٧٠
رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجنوده وبالشّهداء ٧١
مظاهر رحمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير المسلمين ٧٢
رحمته بالأسرى: ٧٢
رحمته أثناء الحرب: ٧٢
رحمته بالكُفّار: ٧٣
مظاهر رحمة الرسول بالحيوان ٧٣
مظاهر رحمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجماد ٧٤
إنسانية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترامه للأشياء ٧٥
من مظاهر إنسانية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توسطهِ في العبادة ٧٥
إنسانيته عَلَيْهِ السَّلَامُ في التعامل مع أهل بيته ٧٦
رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أعدائه في جهاده وقتاله لهم ٧٧
إنسانيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اختياره الأيسر ٧٨
فرحه بالتوبة على أصحابه ٧٨
مشاعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الفراق والحزن ٧٩
من مظاهر إنسانيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احترامه لمتلكاته وتسمية مقتنياته ٧٩
طبيعة البشرية النبوية ٨١
أولًا: علم الشمائل النبوية ٨٢
أهمية دراسة الشمائل، وأهم فوائدها: ٨٤
ثانيا: علم الخصائص النبوية ٨٦
ثالثًا: علم السيرة النبوية، وأهمية دراستها ومعرفتها ٨٧
رابعًا: علم الدلائل النبوية ٩٠
خصائصه الشريفة التي اختصه الله تعالى بها ٩٣
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجوازِ الوِصالِ في الصَّومِ ٩٣
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجمعِ بين أكثرَ من أربعِ نِسوةٍ ٩٣

اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ عينَهُ تنامُ ولا ينامُ قلبُهُ ٩٤
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامِ قرينِهِ ٩٥
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ الشَّيطانَ لا يتمثَّلُ به، وأنَّ مَنْ رآهُ في المنامِ فقدْ رآهُ حَقًّا ٩٥
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّهُ يَرَى مِنْ وراءِ ظَهْرِهِ كما يَرَى مِنْ أَمَامِهِ ٩٥
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّهُ يسمعُ ما لا يسمعُهُ النَّاسُ ٩٦
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتخييرِهِ قبلَ قبضِهِ بينَ الدُّنيا والآخرةِ ٩٧
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ الأرضَ لا تأكلُ جسدَهُ الشَّريفَ، وعرضُ صلاةِ أمتِهِ عليه في قبرِهِ ٩٧
اختصاصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطيبِ عَرَقِهِ، ولِينِ مَسِّهِ ٩٨
أهمية التعرف على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٩٩
فضائل المدينة المنورة: ٩٩
فضل أهل المدينة والسكنى فيها: ١٠١
بركة المدينة والصحة فيها: ١٠٣
فضل المسجد النبوي: ١٠٤
تفسير حديث: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ» ١٠٦
ما حكم زيارة القبور عمومًا وزيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصًا؟ وهل يجوز شد الرحال بقصد زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبور الصالحين؟ ١٠٨
السماع ١١١
تعريف مصطلح السماع ١١١
معنى السماع وعلاقته بالوجد ١١٢
ما حكم سماع المديح النبوي؟ ١١٢
(باب الرخصة في إنشاد الشعر الحسن في المسجد): ١١٤
محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١١٧
معنى المحبة وآثارها وارتباطها بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١١٧

تعريف المَحَبَّةِ لُغةً: ١١٧
المَحَبَّةُ اصطلاحًا: ١١٧
المحبة في الإسلام: ١١٨
محبة الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٢٠
محبة الأكوان والجمادات ومعرفتهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٢٢
محبة النبي لأمته الذين جاؤوا من بعده ١٢٤
محبة الله عَزَّوَجَلَّ **لنبيه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ودلائل تلك المحبة** ١٢٥
١. قرن اسمه تعالى باسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشهادة: ١٢٥
٢. أعطاهُ اللهُ تعالى ما لم يُعطِ غيرَه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام: ... ١٢٦
٣. جعله اللهُ تعالى سيّدَ الخَلْق: ١٢٦
٤. أعطاه اللهُ تعالى الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ والمَقَام المحمود: ١٢٧
٥. أعطاه اللهُ تعالى المحبَّة والخُلَّة: ١٢٧
٦. صلاةُ اللهِ تعالى والملائكة والمؤمنين عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٢٩
الفرق بين المغالاة والشرك والمحبة ١٣٠
المغالاة: ١٣٠
الفرق بين المحبة والادعاء: ١٣٠
هل مديح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعدّ من الغلو والمبالغة المخالف لأحكام الشرع؟ ١٣١
الشِّرك: ١٣٢
السنة بين المحدثين والأصوليين والفقهاء ١٣٥
تعريف السنة ١٣٥
أولًا: تعريفها في اللغة: ١٣٥
ثانيًا: تعريفها في الاصطلاح: ١٣٦
السُّنة في اصطلاح المحدِّثين ١٣٧
السُّنة في اصطلاح الأصوليين ١٣٨
السُّنة في اصطلاح الفقهاء ١٣٩
أهمية السّنة في العصر الحديث ١٣٩

الفرق بين الاتباع والابتداع ١٤١
الابتداع ١٤١
التعريف اللغوي: ١٤١
اتجاهات العلماء في المراد بالبدعة اصطلاحًا: ١٤١
أمثلة للبدعة بأقسامها المتعددة: ١٤٣
الاتباع ١٤٤
نموذج اتباع الصحابة رضوان الله عليهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٤٥
الأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٥٣
معنى الأدب لغةً: ١٥٣
معنى الأدب شرعًا: ١٥٣
هل الأدب مقدّمٌ على الاتباع؟ ١٥٦
أمثلة من الشرع الشريف: ١٥٦
جزاء إساءة الأدب ١٥٩
ما جاء في تعظيم آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٦٣
تمهيد ١٦٣
خصوصية آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٦٥
آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذكرهم وصلتهم وزيارة قبورهم ١٦٧
ذكرهم بالصلاة والتسليم والترضي عليهم: ١٦٧
هل يجوز أن نقول بعد ذكر السيدة فاطمة الزهراء والإمام الحسين: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما) أو (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)؟ ١٦٧
زيارة قبور آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ١٦٨
تحريم الانتساب بغير حق إلى أهل البيت رضوان الله عليهم ١٦٩
تحريم الصدقة على آل البيت ١٦٩
مُجملُ عقيدة أهل السُّنَّة في أهل البيت ١٧٠
ترجمة السيدة فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ١٧١

الشيعة ١٧٥
الشيعة من هم؟..... ١٧٥
موقف أهل السنة والجماعة من غلاة الشيعة ١٧٥
موقف أهل السنة والجماعة من الشيعة الزيدية..... ١٧٦
موقف أهل السنة والجماعة من الشيعة الإمامية ١٧٧
ما طريقتا الروافض والنواصب وما موقف أهل السنة منهما؟ ١٨٠
ما موقف أهل السنة والجماعة حول ما شجَر بين الصحابة؟..... ١٨١
الشخصية المحمدية بين البشرية والنبوة ١٨٣
تمهيد..... ١٨٣
العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة..... ١٨٤
أولًا: عصمته من الشرك والكفر قبل بعثته ونزول الوحي إليه: ١٨٧
ثانيًا: عصمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفر والشرك بعد النبوة:..... ١٩١
عصمته من الكذب في غير الوحي والتبليغ ١٩٢
رد بعض الشبهات المتعلّقة بالذات المحمدية..... ١٩٤
تأبير النخل: ١٩٤
التوفيق بين وصف النبي بكاشف الغمة وبين قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ**﴾: ١٩٥
بيان الواجب اعتقاده في أصول (والدي) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٩٧
بيان الرد علِى من يزعم أن والدي النبي الكريمين ماتا على الجاهلية: ١٩٧
ما جاء في موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **..... ٢٠٥**
تعريف الموت لغةً واصطلاحًا شرعيًّا..... ٢٠٥
حياة البرزخ حياةٌ بين حياتين ٢٠٦
الحياة الآخرة..... ٢٠٧
انتقال النبي إلى الملأ الأعلى..... ٢٠٨
هل صحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مات متأثرًا بالسّم، وكيف حدث ذلك له؟. ٢٠٩**

أين غُسِّل جسد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ومن الذي قام بغسله؟ وأين ذهب ماء الغسل؟ ٢١١
حياة الأنبياء في البرزخ ٢١٢
حياة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره الشريف ٢١٣
رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢١٧
الأحاديث الواردة في رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢١٧
الفرق بين الرؤية والرؤيا ٢١٨
شرح حديث: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» ٢١٩
الخلاصة ٢٢٦
الأدلة على جواز التبرك بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد انتقاله ٢٢٩
حكم التبرك بشعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبغير ذلك من آثاره الشريفة ٢٣١
فضل النعال النبوية الشريفة ٢٣٢
المتصرف في الأكوان ٢٣٥
السند ٢٤٥
معنى السند في القرآن الكريم ٢٤٥
معنى السند في السنة النبوية ٢٤٥
شروط صحة السند ٢٤٦
أقسام السند ٢٤٦
السند المتصل: ٢٤٦
المسند: ٢٤٧
سلسلة الذهب: ٢٤٨
السند العالي والسند النازل في علم الحديث: ٢٤٨
السند المسلسل: ٢٤٩
معنى ضبط الصدر ٢٤٩
معنى ضبط الكتاب ٢٥٠

وسائل النصرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **٢٥٣**
كيفية نصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مستوى الفرد..... ٢٥٣
كيفية نصرة النبي على مستوى الأسرة والمجتمع..... ٢٥٧
كيفية نصرة النبي على مستوى الدعاة وطلبة العلم ٢٥٨
كيفية نصرة النبي على مستوى قطاع التعليم والعاملين فيه..... ٢٦٠
حول «كتاب دلائل الخيرات» وأثره وأهميته..... ٢٦٣
نبذة عن كتاب دلائل الخيرات..... ٢٦٣
سيرة الإمام الجزولي مؤلف الدلائل ٢٦٤
سبب تأليف الدلائل..... ٢٦٦
فضائل الدلائل..... ٢٦٨
ما مدى أفضلية كتاب (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ ٢٦٩
الرد على منتقد كتاب «دلائل الخيرات»..... ٢٧٣
التعريف بمدينة فاس..... ٢٧٧
الأثر الصوفي في بلاد المغرب ٢٧٨
الزوايا المغربية ٢٧٩
الحضور الروحي لبلاد المغرب العربي، وأثره الممتد إلى جنوب صحراء إفريقيا ٢٨٠
من أعلام التصوف المغربي: محمد بن سليمان الجزولي..... ٢٨١
الطوائف الصوفية وأسانيدها..... ٢٨٢
من الشاذلي إلى الجزولي..... ٢٨٣
الجزولي وما بعده..... ٢٨٥
خاتمة..... ٢٨٧
المصادر والمراجع ٢٨٩

لما كـــان من صميم إسلام العبد واكتمال إيمانه معرفته واتباعه لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ دليل كـــــــل خير للعالمين منذ خلق الله العوالم وإلى قيـــام الساعة؛ لذا فقد وجب علينا أن نبحث في كل ما يقربنا ويعرفنا بهذه الذات الشريفة مما يجب علينا معرفته من مسائل تتعلق برسول الله ﷺ قد حيرت الكثير من المسلمين في الأخذ بها بين الصحة والبطلان، لذلك ففي هذه السطور التي ذيلناها لسلسلة حلقات «دليل الخيرات» التي مزجت بين العلم والفهم الواضح الخالـــي من شبهات المترددين والقائمة على فيض من نور المحبين لذات سيدنـا محمد الشريفة، تجدون جواب بعض هذه المسائل ودفع تـــلك الشبهات عن شخص سيدنا محمد ﷺ وآل بيته وسائـــر التابعين لنهجه في شتى بقاع الأرض دون غلو ولا مغالاة ... والله من وراء القصد ..

Google Play
App Store